

د. محمد عمارة

# إزالة الشبهات عن معاني المصطلحات

الأصولية . السلف . السلفية . السلفيون  
التطرف . الغلو . الجاهلية . التكفير  
الإرهاب . الاستحلال

دار السلام

الطباعة والنشر والتوزيع والبرجمة

إِزَالَةُ الشُّبُهَاتِ

عَنْ مَعَاذِ الْمَصْطَلِحَاتِ

صكافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة

للمنشئ

دار الشريعة للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

لمصر

عبد النادر محمود البكار

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٩ م

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب  
الكتب والوثائق القومية - إدارة الشؤون الفنية

عدادة ، محمد ،

إزالة الشبهات عن معاني المصطلحات / تأليف محمد

عدادة - ط ١ - القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر

والتوزيع والترجمة ، ٢٠٠٨ م .

١١٢ ص ١ - ٢٠٠ م .

تدليك ٨ ٦٦٨ ٣١٢ ٩٧٧

١ - الإسلام - دفع مضاعف .

٢ - الإسلام - بحركات الإحياء والإصلاح

والشعبية .

١ - العتال .

٢١٦

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية

الإدارة : القاهرة : ١٩ شارع مصر لطفي موز شارع حسام طهك حليل مكتب مصر للطباعة

فيلد الجديدة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشريبي - مدينة نصر

هاتف : ٤٢٨٠ - ٤٢٧ - ٢١٧١١٥٧٨ ( ٢٠١٠ م ) فاكس : ٢١٧٨١٧٨ ( ٢٠١٠ م )

الكتاب : لبرع الأهرام : ١٢٠ شارع الأهرام الرئيسي - هاتف : ٢٥٩٢٢٨٢٠ ( ٢٠١٠ م )

للكتاب : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي مفرح من شارع علي أمين امتداد شارع

مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٢١٠٥٢٦٦٢ ( ٢٠١٠ م )

للكتاب : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندرية الأكبر - شاملتي بومر جمعية الشبان المسلمين

هاتف : ٥٩٢٢٢٠٥ ( ٢٠١٠ م ) فاكس : ٥٩٢٢٢٠٤ ( ٢٠١٠ م )

بريدنا : القاهرة : ص ب ١٦٦ شويبة - فرع الزيد ١٢٦٣٩

البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com

موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

دار الشريعة للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

للمنشئ

عبد النادر محمود البكار

٢٠٠٩ م - ١٤٢٠ هـ

تأسست دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

على يد : عبد النادر محمود البكار في مدينة نصر - القاهرة

في شهر رمضان المبارك سنة ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٩ م

لقد تم تأسيس دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

على يد : عبد النادر محمود البكار في مدينة نصر - القاهرة

في شهر رمضان المبارك سنة ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٩ م

لقد تم تأسيس دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

على يد : عبد النادر محمود البكار في مدينة نصر - القاهرة

في شهر رمضان المبارك سنة ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٩ م

لقد تم تأسيس دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

على يد : عبد النادر محمود البكار في مدينة نصر - القاهرة

في شهر رمضان المبارك سنة ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٩ م

# إزالة الشُّبُهَاتِ

## عَنْ مَعَانِي الْمُصْطَلِحَاتِ

الْأُصُولِيَّةُ - السَّلَفُ - السَّلَفِيَّةُ - السَّلَفِيُّونَ  
التَّطَرُّفُ - الْغُلُوُّ - الْجَاهِلِيَّةُ  
الْمُكْفِرُ - الْإِرْهَابُ  
الاستِحْلَالُ

تَأْلِيفُ  
د. محمد عمارة

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## أَلْفَهْرِسْ

٧	تمهيد
١٣	الأصولية بين الغرب والإسلام
٣١	السلف.. والسلفية.. والسلفيون
٣١	السلف
٣٣	السلفية
٣٨	السلفيون
٤٥	التطرف.. والغلو
٥٥	الجاهلية.. والتكفير
٧٥	الإرهاب
٩٥	الاستحلال
١٠٣	المصادر والمراجع
١٠٩	السيرة الذاتية للمؤلف

\*\*\*

## تمهيد

تنتظم الفلسفة الإسلامية في رؤية الكون والنظر إلى الوجود، من الحقيقة القائلة بأن هذا الوجود فيه « الحق » - وهو الله سبحانه وتعالى - و « الخلق » الشامل لكل عوالم المخلوقات.

وتؤكد هذه الرؤية على أن الواحدية والأحادية هي فقط للذات الإلهية.. وأن جميع من عدا الذات الإلهية وسائر ما سواها قائم على التنوع والتعدد والتمايز والاختلاف.. ليل ونهار.. سالب وموجب.. وفي كل عوالم النبات والحيوان خلق الله من كل زوجين اثنين.. وكذلك حال التنوع والتعدد والتمايز والاختلاف في عوالم الخلق للإنسان، وما في عوالمه هذه من أجناس وألوان وشعوب وأمم ولغات وقوميات وثقافات وحضارات وديانات وعادات وتقاليد وأعراف.. وشرائع ومناهج يتمايز فيها الاجتماع والمجتمعات..

ولقد دعا الله هذا الإنسان - مع هذا التنوع - إلى « التعارف » الذي يساعد على التعاون في ترقية العمران على هذا الكوكب الذي يعيش فيه الإنسان: ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].



وحتى يتم هذا التعارف والتعايش بين الأمم والشعوب والثقافات والحضارات - مع تعدد اللغات.. الذي هو آية من آيات الله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَخْلَفَ لَهُ نَبِيَّكُمْ وَأَلْزَمَهُمْ فِي ذَلِكَ ظَعْنَهُمْ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الروم: ٢٢] - كان لا بد - في الحوار بين أهل اللغات المختلفة والمتعددة - من ضبط وتحديد معاني المصطلحات المتداولة في المحاورات، والتي لها في كل لغة من اللغات مضامين ومفاهيم ومعاني مختلفة ومتميزة عن نظائرها في اللغات الأخرى..

إن المصطلح هو أشبه ما يكون «بالكأس» الذي يشرب فيه الجميع - بصرف النظر عن لغاتهم وثقافتهم - ومن ثم فلا حرج ولا مُسَاحَحة في استخدام الجميع لهذه المصطلحات.. لكن هذه «الكؤوس» - المصطلحات - تختلف باختلاف المضمون والمفهوم والمعنى الذي تحتويه، كما تختلف الكؤوس باختلاف الشراب الذي تحتويه.. فاستخدام المصطلحات أمر مشاع أمام الجميع.. لكن تحديد معاني هذه المصطلحات - عندما تختلف هذه المعاني باختلاف الثقافات - هو شرط لتمام الفهم في أية حوارات جادة بين المختلفين في الثقافات والعقائد والحضارات..

إن الوضع الأمثل لهذا العالم الذي نعيش فيه هو وضع «متدى الحضارات» الذي يتعايش فيه أبناء الحضارات المتعددة والثقافات المتمايزة؛ حيث يتعارفون.. ويتفقون فيما هو مشترك إنساني عام من المعارف والعلوم، مع تمايزهم فيما هو من الخصوصيات الثقافية والفلسفية والدينية..

ولأنه لا سبيل إلى هذا التعارف - ومن ثم التعايش والتعاون - إلا بالحوار.. كان تحديد مفاهيم المصطلحات شرطاً ضرورياً لنجاح أي لون من ألوان الحوار - سياسياً كان أو ثقافياً أو دينياً أو حضارياً.

إن الاختلاف في المضامين والمفاهيم، مع الاتحاد في المصطلح - الوعاء - أثر شائع في العديد من المصطلحات التي يتداولها العرب والمسلمون، ويتداولها الغرب الحضاري، مع تغاير مضامينها في كل حضارة من هاتين الحضارتين - الإسلامية والغربية - الأمر الذي يُحدث الكثير من اللبس والخلط في حياتنا الثقافية والسياسية والإعلامية المعاصرة، التي خلطت فيها وسائل الاتصال مصطلحات كثيرة، اتحدت في اللفظ مع اختلافها في المضامين والمفاهيم، الأمر الذي يستوجب تحديد مفاهيم هذه المصطلحات لدى الفرقاء المتحاورين، وإلا كان حوارهم أشبه ما يكون بحوار الطرشان!

وعلى سبيل المثال:

فمصطلح « اليسار » يرمز في الفكر الغربي، للأجواء والفكر وأهل الفاقة والحاجة، بينما يدل - ذات المصطلح - في المفاهيم العربية الإسلامية، على أهل الغنى واليسر والنعيم!

ومصطلح « اليمين » يدل في الفكر الغربي، على أهل التخلف والرجعية والجمود.. بينما هو يعنى، في الفكر العربي الإسلامي، أولئك الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فأقبلوا على



الله ﷻ يوم الحساب، يتناولون صحائف كتاب أعمالهم الطيبة باليمين، أي بالقوة والثبات والاطمئنان!

ولذلك، كان الشيخ عبد الحميد بن باديس ( ١٣٠٧ - ١٣٥٩ هـ / ١٨٨٩ - ١٩٤٠ م ) رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، يدعو الله ﷻ فيقول: « اللَّهُم اجعلني في الدنيا من أهل اليسار، واجعلني في الآخرة من أهل اليمين »، بالمفهوم الإسلامي لمصطلحي اليسار واليمين، وليس بمفهوم الغربيين لهذه المصطلحات..

ولما كانت الظاهرة الإسلامية الحديثة والمعاصرة، تثير العديد من ردود الأفعال.. والمتناقض من المواقف والاستجابات.. الأمر الذي استدعى ويستدعي إدارة العديد من الحوارات حول هذه الظاهرة.. كان الضبط والتحديد لمعاني كثير من المصطلحات المستخدمة في هذه الحوارات شرطاً ضرورياً لتحقيق الفهم المشترك للمقامين بهذه الحوارات.. ومن ثم تحقيق النجاح المطلوب من وراء هذه الحوارات..

ولتحقيق هذا المقصد وهذه الغاية اختارت هذه الدراسة تحديد المضامين والمفاهيم لعشرة من أشهر المصطلحات التي يشيع استخدامها في الحوارات الدائرة حول الظاهرة الإسلامية المعاصرة.. مصطلحات:

- |             |           |            |
|-------------|-----------|------------|
| ١- الأصولية | ٢- السلف  | ٣- السلفية |
| ٤- السلفيون | ٥- التطرف | ٦- الغلو   |

٧- الجاهلية      ٨- التكفير      ٩- الإرهاب

١٠- الاستحلال

لعل هذه الدراسة أن تكون إسهامًا في خدمة الفهم المشترك  
لأطراف هذه الحوارات، والله نسأل أن ينفع بها.. إنه خير  
مسؤول.. وأكرم مجيب

القاهرة: رجب سنة ١٤٢٩ هـ يوليو سنة ٢٠٠٨ م      د. محمد عمارة



# الأُصُولِيَّةُ

## بَيْنَ الْغَرْبِ وَالْإِسْلَامِ

« الأصولية » Fundamentalism بالمعنى الذي شاع مضمونه في أوساطنا الإعلامية والثقافية والسياسية المعاصرة - هو مصطلح غربي المنشأ، غربي المضمون.. ولأصله العربي ومعانيه الإسلامية، مضامين ومفاهيم أخرى مغايرة لمضامينه الغربية، التي يقصد إليها الآن عند أولوه.

والأصولية، في المحيط الغربي، هي في الأصل والأساس، حركة بروتستانتية التوجه، أمريكية المنشأ، انطلقت في القرن التاسع عشر الميلادي، من صفوف حركة أوسع، هي « الحركة الألفية » التي كانت تؤمن بالعودة المادية والجسدية للمسيح عليه السلام ثانية إلى هذا العالم؛ ليحكمه ألف عام نسبق يوم المديونة والحساب.

والموقف الفكري الذي ميز ويميز هذه الأصولية، هو: « التفسير الحرفي للإنجيل وكل النصوص الدينية الموروثة، والرفض الكامل لأي لون من ألوان التأويل لأي نص من هذه النصوص - حتى ولو كانت، كما هو حال الكثير منها، مجازات روحية ورموزاً صوفية - ومعاداة الدراسات النقدية التي كتبت للإنجيل والكتاب المقدس » ... وانطلاقاً من التفسير الحرفي

للالإنجيل، قال الأصوليون البروتستانت بالعودة الجسدية للمسيح، ليحكم العالم ألف عام سعيدة؛ لأنهم فسروا « رؤيا يوحنا » [ سفر الرؤيا ٢٠ - ١ - ١٠ ] تفسيرًا حرفيًا.

وعندما أصبحت الأصولية مذهبًا مستقلًا بذاته، في بداية القرن العشرين، تبلورت لها - عبر مؤتمراتها ومن خلال مؤسساتها وكتابات قساوسها - مقولات تنطلق من التفسير الحرفي للإنجيل، داعية إلى مخاصمة الواقع، ورفض التطور، ومعاداة المجتمعات العلمانية، بخيرها وشرها على السواء.. فهم - مثلاً - يدعون التلقي المباشر عن الله، ويتوجهون إلى العزلة عن الحياة الاجتماعية، ويرفضون التفاعل مع الواقع، ويعادون العقل والتفكير العلمي، والمبتكرات العلمية، فيهجرون الجامعات، ويتمنون لتعليمهم مؤسسات خاصة، وهم يرفضون إيجابيات الحياة العلمانية، ومن باب أولى سلبياتها، من الإجهاض وتحديد النسل إلى الشذوذ الجنسي والدعوات المدافعة عن « حقوق » أهله، ومن المسكرات والتدخين والرقص إلى الاشتراكية.

ولقد شهدت الحركة الأصولية، في العقود الأولى من القرن العشرين، عددًا من المؤتمرات التي أفضت إلى عدد من المنظمات، كان من أبرزها - في أمريكا - : « جمعية الكتاب المقدس » سنة ( ١٩٠٢ م ).. وهي التي أصدرت اثنتي عشرة نشرة بعنوان: « الأصول Fundamentals دفاعًا عن التفسير الحرفي للإنجيل ».

وهجومًا على نفذه أو تأويله.. و« المؤسسة العالمية للأصوليين المسيحيين » سنة (١٩١٩ م) .. و« الاتحاد الوطني للأصوليين » .  
تلك هي « الأصولية » في الاصطلاح الغربي، وبالمفهوم النصراني<sup>(١)</sup> ..

أما في المنظار العربي والمفهوم الإسلامي، فإننا لا نجد في معاجنا القديمة - لغوية كانت أو كشافات للمصطلحات - ذكرًا لهذه النسبة - « الأصولية » وإنما نجد الجذر اللغوي - « الأصل » بمعنى: أسفل الشيء، والحسب. وجمعه: أصول، وفي القرآن الكريم: ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْهَا قَابِلَةً عَلَى أَصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [الحشر: ٥] ورجل أصيل: له أصل، ومتمكن في أصله، وثابت الرأي عاقل، ورأي أصيل: له أصل، ومجد أصيل: أي ذو أصالة، والأصل - كذلك - القرار: ﴿ يَنْتَظِرُ شَجَرَةً تَقْرَعُ فِي أَصْلِهَا فَتُجِيمُ ﴾ [الصافات: ٦٤]. والجذر: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [إبراهيم: ٢٥]، والأصلي: يقابل الفرعي، أو الرائد، أو الاحتياطي، أو المُقلَّد.

ويطلق الأصل على القانون والقاعدة المناسبة المنطبقة على الجزئيات، وعلى الحالة القديمة، كما في قول علماء أصول الفقه: الأصل في الأشياء الإباحة والطهارة. والأصول: المبادئ المُسَلِّمة.

(١) انظر: دائرة المعارف البريطانية، مصطلح Fundamentalism.

عند علماء « الأصول » يطلق الأصل على سنان، أحدها: الدليل، يقال: الأصل في هذه المسألة الكتاب والسنة. وثانيها: القاعدة الكلية. وثالثها: المرجع، أي: الأولى والأخرى<sup>(١)</sup>.

ولقد تبلورت في الحضارة الإسلامية علوم « أصول الدين »، وهو علم الكلام - التوحيد - الفقه الأكبر، و « أصول الفقه » وهو العلم بالقواعد والبحوث التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية، و « أصول الحديث »، ويقصد بها مصطلح الحديث.

وهكذا خلا ويخلو تراث الإسلام وحضارته، وتخلو معاجم العربية وقواميسها من مصطلح « الأصولية »، ومن المضامين التي عرفها الغرب لهذا المصطلح.

وحتى في فكرنا الإسلامي المعاصر، الذي استخدم بعض علمائه مصطلح « الأصولية » في مباحث علم أصول الفقه، وجدناه يعني: « القواعد الأصولية التشريعية، التي استمدتها علماء أصول الفقه من النصوص التي تحورت مبادئ تشريعية عامة، وأصولاً تشريعية كلية؛ مثل:

(١) انظر - على سبيل المثال - ابن منظور [لسان العرب]، طبعة دار المعارف القاهرة، والبيهقي [كشف اصطلاحات الفنون]، طبعة الخديفة (١٨٩١ م) وأبو النقاء [الكليات] تحقيق: د. عدنان درويش، عمدة المصري، طبعة دمشق، سنة (١٩٨٢ م)، و [المعجم الكبير] بوضع مجمع اللغة العربية، طبعة القاهرة، سنة (١٩٧٠ م)، [معجم ألفاظ القرآن الكريم] بوضع مجمع اللغة العربية، طبعة القاهرة، سنة (١٩٧٠ م).



- ١- المقصد العام من التشريع.
  - ٢- وما هو حق الله وما هو حق المكلف؟
  - ٣- وما يسوغ الاجتهاد فيه.
  - ٣- ونسخ الحكم.
  - ٤- والتعارض والترجيح..<sup>(١)</sup>
- ولا علاقة لأيٍّ منها بمضامين مصطلح « الأصولية » في الحضارة الغربية وفكرها النصراني.
- لكن؛ وبصرف النظر عن التسمية، هل في تيارات الفكر الإسلامي ومذاهبه - القديم منها والحديث - تيار أو مذهب وقف من النصوص المقدسة موقف الأصوليين الغربيين، فقال بالتفسير الحرفي للقرآن والسنة، ورفض كل أنواع المجاز والتأويل لأي نصٍّ مهما بدا تعارض ظاهره مع براهين العقل، حتى يمكن أن يقال: إن موقف هذا التيار أو المذهب، إزاء النصوص الإسلامية المقدسة هو ذات موقف ذلك التيار الأصولي النصراني من الإنجيل والكتاب المقدس، الأمر الذي يبرر القول بوجود « أصولية إسلامية » بهذا المعنى « الغربي - السلبى » لمصطلح « الأصولية »؟

(١) عبد الوهاب خلاف: [علم أصول الفقه] (ص ٢١٠ - ٢٣٢). طبعة الكويت، سنة (١٩٧٢ م).

إن حقيقة الجواب عن هذا السؤال هي النفي القاطع والأكيد.. فكل تيارات الفكر الإسلامي القديمة - سواء الثقل من « أهل الأثر » و « أصحاب الحديث » و « الظاهرية ».. أو الكثرة الغالبة من « أهل الرأي » قد قبلوا بالمجاز و « التأويل » لطائفة كبيرة من النصوص المقدسة.. ويكاد الإجماع أن ينعقد على أن ما لا يقبل التأويل من النصوص، وهو الذي يسمى في الاصطلاح الأصولي « نصاً » هو الثقل، بينما الكثرة في النصوص هي مما فيها للرأي والتأويل والاجتهاد مجال.. ولقد كان التمايز والاختلاف بين هذه التيارات الفكرية الإسلامية، هي في الاقتصاد في التأويل، أو التوسط إزاءه، أو التوغل فيه، ولم يرفضه بإطلاق، مذهب من مذاهب الإسلام.

وإذا كان « التأويل » - في تعريف ابن رشد (٥٢٠ - ٥٩٥ هـ / ١١٢٦ - ١١٩٨ م) - « هو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية، من غير أن يخفى ذلك بعادة لسان العرب في التجويز، من تسمية الشيء بشبيهه، أو بسببه، أو لاحقه، أو مقارنه، أو غير ذلك من الأشياء التي عُدّت في تعريف أصناف الكلام المجازي »<sup>(١)</sup>.. فإن حجة الإسلام الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨ - ١١١١ م)، قد مدّ أفاق التأويل المقبول إلى خمس مراتب لوجود الشيء الذي جاء به النص،

(١) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال (ص ٣٢). دراسة وتحقيق د. محمد عريّة، طبعة القاهرة، سنة (١٩٨٣ م).

تدخل هذه المراتب التأويلية بصاحبها إلى نطاق التصديق والإيمان، وتدفع عنه تهمة التكذيب والزندقة.

وهذه المراتب هي:

١- الوجود الذاتي: وهو الوجود الحقيقي، الثابت خارج الحس والعقل، ولكن يأخذ الحس عنه صورة، فيسمى أخذه إدراكًا..

٢- والوجود الحسي: الذي يتمثل في القوة الباصرة من العين، مما لا وجود له خارج العين، فيكون موجودًا في الحس، ويختص به الحاس، ولا يشاركه غيره، وذلك كما يشاهد النائم. بل كما يشاهد المريض المتيقظ.

٣- والوجود الخيالي: الذي يخترعه الخيال تصور المحسوسات إذا غابت عن الحس، فهو موجود في الدماغ لا في الخارج.

٤- والوجود العقلي: فيما له روح وحقيقة ومعنى.. كالكيد.. مثلاً - فإن لها صورة محسوسة ومتمخيلة، ولها معنى هو حقيقتها. وهي القدرة على البطش - التي هي « اليد العقلية ».

٥- والوجود الشبهي: وهو ألا يكون نفس الشيء موجودًا، لا بصورته ولا بحقيقته، لا في الخارج ولا في الحس، ولا في الخيال، ولا في العقل، ولكن يكون الموجود شيئًا آخر يشبهه في خاصية من خواصه، وصفة من صفاته.

فكل من نزل قولاً من أقوال النبوة، ونصاً من النصوص المقدسة، على درجة من هذه الدرجات، فهو من المصدقين؛ لأن

التكذيب هو نفي جميع هذه المعاني الواردة في هذه المراتب، والادعاء بأن ما أخبرت به النصوص هو كذب محض وتلبيس، وذلك هو الكفر والزندقه، « ولا يلزم كفر المتأولين ما داموا يلازمون قانون التأويل ».

ثم يؤكد حجة الإسلام الغزالي أن كل مذاهب الإسلام قد لجأت إلى التأويل، « فما من فريق من أهل الإسلام إلا وهو مضطر إلى التأويل »<sup>(١)</sup>.

فليس إذاً بين مذاهب الإسلام القديمة من وقف تماماً ودائماً عند حرفية النصوص، رافضاً أي تأويل، حتى يمكن إطلاق مصطلح « الأصولية » بالمفهوم الغربي عليه.

ولأن « معاصرتنا - الإسلامية » قد تميزت بـ « أصالتها - الإسلامية »، فلقد خلعت تيارات فكرنا الإسلامي.. الحديث والمعاصر - من تيار يائيل - في الموقف من المجاز والتأويل والتفسير الحرفي للنصوص - « أصولية » الغرب النصرانية.

فالإمام محمد عبده ( ١٢٦٥ - ١٣٢٣ هـ / ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م ) يجعل « تقديم العقل على ظاهر الشرع » عند التعارض « أصلاً من أصول الإسلام.. ويقول: « لقد اتفق أهل الملة الإسلامية، إلا قليلاً ممن لا ينظر إليه، على أنه إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل.

(١) (فصل الفرقة بين الإسلام والزندقة) [ص ٤ - ١٠]، طبعة القاهرة، سنة (١٩٠٧ م).

## الأصولية بين الغرب والإسلام

ويبقى في النقل طريقان: طريق التسليم بصحة المنقول، مع الاعتراف بالعجز عن فهمه، وتفويض الأمر إلى الله في علمه، والطريق الثانية: تأويله، مع المحافظة على قوانين اللغة، حتى يتفق معناه مع ما أثبتته العقل.

وهذا الأصل، الذي قام على الكتاب وصحيح السنة وعمل النبي ﷺ، مُهَّدت بين يدي العقل كل سبيل، وأزيلت من سبيله جميع العقبات، واتسع له المجال إلى غير حدٍّ..<sup>(١)</sup>

وهذا مذهب أبعد ما يكون عن «الأصولية» بالمعنى الغربي لمصطلحها.

وإذا كان الإعلام الغربي - وتبعاً له كثير من وسائل الإعلام العربي والإسلامي - قد خلط الأوراق، وأخذ يطلق على اليقظة الإسلامية المعاصرة مصطلح «الأصولية» بمعناه الغربي،

فإن بعض الكتاب الغربيين، الذين أطلقوا مصطلح «الأصولية» على الصحوة الإسلامية المعاصرة، نراهم - وهم يتحدثون عن علاقة هذه الصحوة بـ «الماضي» الإسلامي - يجعلون موقفها هذا من «الماضي» واثراً، على العكس من موقف الأصوليين الغربيين من ماضيهم وتراثهم النصراني.

فعلى حين تنسحب «الأصولية» بمعناها الغربي، إلى الماضي - مخاضة الحاضر والمستقبل - نجد الصحوة الإسلامية المعاصرة -

(١) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده (٣ / ٣٠١، ٣٠٢)، دراسة وتحقيق

د. محمد عجاوة، طعة القاهرة، سنة (١٩٩٣ م).]

بشهادة هؤلاء الكتاب الغربيين - تتخذ من العلاقة بالماضي ومن النظر إليه ومن علاقته بالمستقبل موقفاً مختلفاً.

فهني تريد " بعث الماضي " لا على النحو الذي تفعله الثورات الجامدة و " المحافظة "، وإنما بعثاً ينظر إلى هذا الماضي، ليتخذ منه " هداية للمستقبل " الأمر الذي يجعل أهل هذه الصحوة - ينظر هؤلاء الكتاب - « ثواراً، وليسوا محافظين »!...

ومن أصحاب هذه الرؤية وهذا التقييم للصحوة الإسلامية المعاصرة، الرئيس الأمريكي الأسبق « ريتشارد نيكسون » ( ١٩١٣ - ١٩٩٤ م )، الذي يقول عنها في كتابه [ الفرصة السانحة Seize the moment ]: « إنهم هم الذين يحركهم حقدهم الشديد ضد الغرب، وهم مصممون على استرجاع الحضارة الإسلامية السابقة عن طريق بعث الماضي، ويهدفون إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، وينادون بأن الإسلام دين ودولة، وبالرغم من أنهم ينظرون إلى الماضي، فإنهم يتخذون منه هداية للمستقبل، فهم ليسوا محافظين ولكنهم ثوار... »<sup>(١)</sup>.

بل إن عدداً كبيراً من المستشرقين المعارضين - وبخاصة الخبراء منهم في الفكر الإسلامي، والأكثر التزاماً بمعايير « الفكر » المتميزة عن « لغة الإعلام » يرفضون صراحة إطلاق مصطلح « الأصولية » على ظاهرة الإحياء الإسلامي واليقظة

(١) نيكسون: [ الفرصة السانحة ] ( ص ١٤٠، ١٤١ )، ترجمة: أحمد صدقي مراد، طبعة القاهرة، سنة ( ١٩٩٢ م )



الإسلامية الحديثة والمعاصرة.. ويلسان هؤلاء، يقول المستشرق الفرنسي الأشهر «جاك بيرك» (١٩١٠ - ١٩٩٥ م): «أنا أرفض تعبير الأصولية؛ لأنه آت من التزايدات داخل الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية، هناك مسلمون ( العامة )، وهناك الإسلاميون، الذين يشددون على قدرة الإسلام على إيجاد حلول مناسبة لمشكلات الحياة اليومية، وقدرته على بناء دولة ومؤسسات. وهؤلاء لا يقفون عند الطبيعة الدنيوية للإسلام فقط، هذه أطروحة من تسميهم الإسلاميين، إنها حركات تسعى إلى تقريب العالم العربي من منابعه.. ولديهم خطابات تجعلهم مختلفين بعضهم عن بعض، لكنهم يلتقون في الدعوة إلى الرجوع إلى الأصول، وبخاصة القرآن، ويدعون إلى إعادة تأصيل القرآن باعتباره قادرًا على تقديم الحلول للمشكلات التي يطرحتها العالم المعاصر، يطورون ذلك في مواجهة المجتمعات التي وضعت نفسها منذ مائة سنة في مدرسة الغرب، ولم تحقق النجاحات المطلوبة..».

ومع «جاك بيرك» في رفض إطلاق مصطلح «الأصولية» - ذي المضامين الغربية السلبية - على «الظاهرة الإسلامية» المعاصرة، يقف العديد من كبار المستشرقين.. منهم المستشرق الأمريكي «روجر أوين» والمستشرقة الإسبانية «كارمن روبل» والمستشرق الروسي «فيتالي ناعومكين» والمستشرقان الإنجليزيان «هومي بابا» - و«روبن أوستل» إلخ.. إلخ.<sup>(١)</sup>

(١) انظر ملف مجلة [ الوسط ] اللندنية - عن رأي الاستشراقي في الحركات الإسلامية - الأعداد من ٩٦ حتى ١٠٢ الصادرة من ٢٩ / ١١ - سنة ١٩٩٣ م -

لكن كُتِّبَ « اليمين الديني » - الميحيين - النصهاينة -  
و « المحافظين الجدد » في أمريكا - الذين سخروا أفكارهم  
وأفلامهم لتبرير الهجمة الأمريكية على الإسلام والعالم  
الإسلامي - الهجمة التي أعلنتها - بعبارة الرئيس جورج بوش -  
حرباً صليبية.. والتي وصف فيها الإسلام بالفاشية، هؤلاء  
المكتاب قد أصروا على إطلاق مصطلح « الأصولية » - بمعناه  
الغربي - على الحركات الإسلامية المعاصرة، لا شيء، إلا لرفضها  
« التغريب » والتقليد للنموذج الغربي في التقدم.. نموذج  
« الحداثة الغربية » والاستهلاكية، ونمط الحياة الأمريكية.. معتبرين  
أن رفض هذه الحركات الإسلامية هذه « الحداثة الغربية »  
ودعوتها - بدلاً من ذلك - إلى الأصالة الإسلامية، والاستقلال  
الحضاري، هو « الأصولية » بالمعنى السلبي والردّي.. وفي هذا  
المنام كتب الصحفي الأمريكي الصهيوني « توماس فريدمان » -  
إبان الغزو الأمريكي لأفغانستان سنة ( ٢٠٠١ م ) - يقول: « إن  
الحرب الحقيقية في المنطقة الإسلامية هي في المدارس؛ ولذلك  
يجب أن تفرغ من حملتنا العسكرية ضد ابن لادن بسرعة  
ونخرج.. وعندما نعود [ من أفغانستان ]، يجب أن تكون  
مسلحين بالكتب، لا بالذبابات، وفقط عندما تسمو تربة جديدة،

« حتى ١٠ / ١٠ سنة ١٩٩٤ م، وانظر كتابنا [ الصحوة الإسلامية في عينون عربية ]  
طبعة القاهرة، نهضة مصر، سنة ( ١٩٩٧ م ).

وجيل جديد. يقبل سياساتنا، كما يحب شعائرتنا، سيكون لنا في المنطقة الإسلامية أصدقاء»<sup>(١)</sup>!

ويكتب المفكر الإستراتيجي الأمريكي «فوكوياما» يقول: «إن العالم الإسلامي يختلف عن غيره من الحضارات في وجه واحد مهم، فهو وحده قد وُجد - تكررًا - خلال الأعوام الأخيرة حركات أصولية مهمة، ترفض لا السياسات الغربية فحسب، وإنما المبدأ الأكثر أساسية للحدائق.. العلمانية نفسها.. وأنه بينما تجد شعوب آسيا وأمريكا اللاتينية ودول المعسكر الاشتراكي السابق وأفريقيا الاستهلاكية الغربية مغربة، وتود تقليدها لئلا أنها فقط استطاعت ذلك، فإن الأصوليين المسلمين يرون في ذلك دليلًا على الانحلال الغربي.. وأن الصراع الحالي ليس ببساطة معركة ضد الإرهاب.. ولكنه صراع ضد العقيدة الإسلامية الأصولية - الفاشية الإسلامية - التي تقف ضد الحدائق الغربية.. وأن التحدي الذي يواجه الولايات المتحدة الأمريكية اليوم هو أكثر من مجرد معركة مع مجموعة صغيرة من الإرهابيين، فبحر الفاشية الإسلامية الذي يسبح فيه الإرهابيون يشكل تحديًا أيديولوجيًا، هو في بعض جوانبه أكثر أساسية من الخطر الذي شكلته الشيوعية... وعلى المجتمع الإسلامي أن يقرر فيما إذا

(١) [نيويورك: نيوز - أمريكية - وانتل من صحيفة (أرشي) السبحة  
الفاخرة في ٢٥ - ١١ - ٢٠٠١ م.]

كان يريد أن يصل إلى وضع سلمي مع الحداثة الغربية، وخاصة فيما يتعلق بالمبدأ الأساسي حول الدولة العلمانية؟<sup>(١١)</sup>

كما يعلن للفكر الاستراتيجي الأمريكي « صموئيل هنتنجتون » عن ذات الأهداف - أهداف « اليمين الديني » و « المحافظين الجدد » - فيقول: « إننا نريد حزبًا داخل الإسلام حتى يقبل الإسلام الحداثة الغربية.. والعلمانية الغربية.. والمبدأ المسيحي: فصل الدين عن الدولة »<sup>(١٢)</sup>.

فهم يطلقون مصطلح « الأصولية » - بمعناه السليبي الغربي - على الحركات الإسلامية، لا لأنها - مثل الحركات الأصولية المسيحية الغربية - تقف موقفًا جامدًا ورجعيًا ولا عقلائيًا.. وإنما يريدون تشويه صورة هذه الحركات الإسلامية؛ لأنها رافضة للحداثة الغربية، والعلمانية الغربية، والمبدأ المسيحي في فصل الدين عن الدولة.. واللاهوتية الغربية..

بل لقد رأينا الرئيس الأمريكي الأسبق « ريتشارد نيكسون » (١٩١٣ - ١٩٩٤ م) يعلن - في صراحة تحمده - أن الأصوليين المسلمين هم:

١ - الذين يحركهم حقدهم الشديد ضد الغرب.

<sup>(١١)</sup> [نيوزويك] الأمريكية - العدد السنوي - ديسمبر سنة ٢٠٠١ م، فبراير.

سنة ٢٠٠٢ م.

<sup>(١٢)</sup> المرجع السابق.

٢- وهم مصممون على استرجاع الحضارة الإسلامية السابقة عن طريق بعث الماضي.

٣- ويهدفون إلى تطبيق الشريعة الإسلامية.

٤- وينادون بأن الإسلام دين ودولة.

٥- وعلى الرغم من أنهم ينظرون إلى الماضي، فإنهم يتخذون منه هداية للمستقبل، فهم ليسوا محافظين، ولكنهم ثوار<sup>(١)</sup>.

هكذا كشف هذا الفكر الاستراتيجي عن المعنى الحقيقي للأصولية الإسلامية والأصوليين الإسلاميين.. باعتبارهم دعاة البعث الحضاري الإسلامي، والثوار المجاهدين في سبيل النهضة الإسلامية المتميزة عن نموذج الحداثة الغربية.

فأين هذه « الأصولية الإسلامية » من الأصولية الغربية، التي عرفها قاموس « لاروس الكبير » سنة ( ١٩٨٤ م ) بأنها: « موقف جمود وتصلب، معارضة لكل نمو أو لكل تطور.. مذهب محافظ متصلب في موضوع المعتقد السياسي »<sup>(٢)</sup>.

هكذا وجدنا - ونجد - اختلافًا بيننا، قد يبلغ حد التضاد، بين مفهوم ومضمون مصطلح « الأصولية » كما عرفته النصرانية الغربية والحضارة الغربية، وبين مفهوم المصطلح في تراثنا الإسلامي، ولدى تياراتنا الفكرية، القديم منها والحديث والمعاصر على حد سواء.

(١) نيكسون: [ الفرضة الساتحة ] ( ص ١٤٠، ١٤١ ) ترجمة: أحمد صدقي مراد - طبعة القاهرة سنة ( ١٩٩٢ م ).

فالأصوليون في الغرب: هم أهل الجمود والتقليد، الذين يخاصمون العقل والمجاز والتأويل والقياس، وينسحبون من العصر، فيقفون عند التفسير الحرفي للنصوص..

بينما الأصوليون في الحضارة الإسلامية: هم علماء أصول الفقه - الذين يمثلون قطاعاً من أبرز قطاعات إسهام المسلمين في الدراسات العقلية - أي هم أهل الاستنباط والاستدلال والاجتهاد والتجديد..

الأمر الذي يجعل من هذا المصطلح - «الأصولية» - نموذجاً عن نماذج الخلط الفكري الناشئ من عدم التمييز بين المفاهيم المختلفة - وأحياناً المتضادة - التي تضعها الحضارات المختلفة في وعاء المصطلح الواحد المتداول بين أبناء هذه الحضارات.

إن «المسلم»: هو كل من يؤمن بالإسلام، عن عامة الأمة وجمهورها..

في «الإسلامي»: هو من له «مشروع» للتغيير والتجديد والنهوض، مرجعيته الإسلام<sup>(١)</sup>.. وبعبارة «جارك بيرك»: «

(١) واستخدام مصطلح «الإسلامي».. والإسلاميين « بهذا المعنى، قديم في التراث الإسلامي، فلاي القاسم البلبخي (٢٠١٩هـ / ١٩٣٦م) كتب [مقالات الإسلاميين]، ولأبي الحسن الأشعري (٢٦٠ - ٣٢٤هـ / ٨٧٤ - ٩٣٦م) كتابه الشهير بنفس العنوان - [مقالات الإسلاميين]، فالتقالات والاجتهادات =



« هناك مسلمون ( العامة )، وهناك الإسلاميون، الذين يشددون على قدرة الإسلام على إيجاد حلول مناسبة لمشكلات الحياة اليومية، وقدرته على بناء دولة ومؤسسات... ».

أما مصطلح « الأصولية »، بمعناه الغربي، فهو غريب عن الواقع الإسلامي، مقحم عليه بقوة « القصف الإعلامي »؛ لأنه يعني في الغرب: « أهل الجمود » بينما هو في التراث الإسلامي عنوان على: « أهل التجديد والاجتهاد والاستدلال، والاستنباط »!



---

= والمذاهب والمشروعات الفكرية هي « للإسلاميين » الذين هم أخص من جمهور المسلمين وعامةهم.

# السَّلَفُ وَالسَّلَفِيَّةُ وَالسَّلَفِيُّونَ

## السَّلَفُ

السلف - لغة - : هو الماضي، وكل ما عمن تقدم ومضى عن الواقع والزمن الذي يعيش فيه الإنسان.

وفي الاصطلاح: هو العصر الذهبي الذي يمثل ثقاء الفهم والتطبيق للمرجعية الفكرية والدينية. قبل ظهور المذاهب والتصورات التي وفدت على الحياة الفكرية، بعد الفتوحات التي أدخلت الفلسفات غير الإسلامية على فهم السلف الصالح للإسلام..

والسلف - أيضا - : هو كل عمل صالح قدمه الإنسان.

وفي القرآن الكريم يرد مصطلح السلف بمعنى: الماضي، وما سبق الحياة الحاضرة التي نعيشها الإنسان: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ، مَوْعِدَةٌ مِنْ رَبِّهِ، فَأْتَاهُ، فَمَا سَلَفَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، ﴿وَلَا تُنْكِحُوا مَا كَانَ مِنْ آبَائِكُمْ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢]، ﴿هَذِهِ تَبَلُّوْا كُلَّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ [يونس: ٣٠]، ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سُلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ [الزحرف: ٥٦].

فالسلف في القرآن الكريم، هو الماضي، وما سبق وتقدم على الحياة الحاضرة للإنسان..

ونفس هذا المعنى - لمصطلح السلف - جده في الحديث النبوي الشريف، ففي مسند الإمام أحمد، عن فاطمة الزهراء رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال لها في مرض موته: «ولا أراه إلا قد حضر أجلي، إنك أول أهل بيتي حوقاً بي، ونعم السلف أنا لك»<sup>(١)</sup>، وعن ابن عباس، رضي الله عنهما: لما ماتت زينب ابنة رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «الحق بسلفنا الصالح الحسير عثمان بن مظعون»<sup>(٢)</sup>.

والسلف في اصطلاح المال وانتجاجة، هو: إقراض الأموال قرضاً حسناً، أي لا منفعة فيه للمقرض - بالدنيا -.. وبهذا المعنى ورد في الحديث النبوي، فعن السائب بن أبي السائب أنه كان يشارك رسول الله ﷺ قبل الإسلام في التجارة، فلما كان يوم الفتح جاء، فقال النبي ﷺ: «مرحباً بأخي وشريك، كان لا يداري ولا يماري، يا سائب، قد كنت تعمل أعمالاً في الجاهلية لا تُقبل منك، وهي اليوم تُقبل منك، كان ذا سلف وصلة»<sup>(٣)</sup>، أي كان يقرض المال قرضاً حسناً، ويصل الأرحام.

ولما كان كل ماضي هو سلف، فلقد شاع إطلاق هذا المصطلح معرّفًا - السلف - على الجيل المؤسس، الذي أقام الدين، وطبق عليهاج الإسلام، جيل الصحابة الذين عاشوا عصر تنزل الوحي، وامتلكوا سليفة فهم مصطلحاته على النحو

(١ - ٢) رواه الإمام أحمد.

الذي كانت عليه في عصر التنزيل، وثقفوا عن المعصوم عليه السلام النبوي المبلاغ القرآني، وحولوا جميع ذلك إلى واقع حياتي معيش.. فغدوا - لذلك - السلف الصالح، بتعميم وإطلاق.. ثم انضم إليهم - في زمرة السلف - من اهتدى بهديهم وعمل بسنتهم من التابعين وتابعي التابعين.

فالسلف هو: كل من يُقَلَّد ويُقتَدَى أثره في الدين..

وبعد «السلف» - الذين يشملون الصحابة.. والتابعين.. والأئمة العظام للمذاهب الكبرى، من تابعي التابعين - يأتي «الخطف»، الذين يلونهم في التسلسل الزمني.. وبعد الخطف تأتي أجيال «المتأخرين»<sup>(١)</sup>.

## السَّلَفِيَّةُ

السلفية: نسبة إلى «السلف».. والسلف هو: الماضي.. وفي القرآن الكريم: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَكَنَ﴾

(١) مراجع:

- ١ - عقائد السلف: للأستاذ أحمد بن حنبل، والمحاري وابن قتيبة، وعثمان النازمي، جمعها ونشرها: د. علي سامي الشاوي، دار الفكر المطبوع، طبعة دار السلام، سنة (٢٠٠٧م).
- ٢ - آية الیقاع، الكفوي، [الكليات] تحقيق: د. عدنان درويش، ومحمد المصري، طبعة دمشق، سنة (١٩٨٢م).
- ٣ - د. محمد عازقة، تيارات الفكر الإسلامي، طبعة القاهرة، سنة (١٩٩٨م).

[ البقرة: ٢٧٥ ]، وفي [ لسان العرب ] - لابن مقفور -: « السائف: المتقدم » أي الماضي..

ولذلك كانت السلفية الدينية، والسلفي في الدين: هي الرجوع في الأحكام الشرعية إلى منابع الإسلام الأولى، أي الكتاب والسنة، مع إهدار ما سواهما..

ومع وضوح هذا التعريف للسلفية، تعددت فصائل ثياريها في تراثنا وفكرنا الإسلامي.. فكل السلفيين يعودون في فهم الدين إلى الكتاب والسنة، لكن منهم فصيلاً يقف في الفهم عند ظواهر النصوص.. ومنهم من يُعمل العقل في الفهم.. ومن الذين يُعملون العقل: مسرف في التأويل.. أو متوسط.. أو مقتصد..

ومن السلفيين: أهل جمود وتقليد.. ومنهم أهل التجديد، الذين يعودون إلى منابع لاستلهاماً في الاجتهاد لواقعهم الجديد، ومن السلفيين من سلفهم - ماضيهم - فكر عصر الازدهار الحضاري وخلق والإبداع.. ومنهم من سلفهم - ماضيهم ومثاهم الذي يحتذونه - فكر عصر التراجع الحضاري والتقليد والجمود..

ومن السلفيين « مقلدون » لكل التراث، دونما تمييز بين « الفكر » وبين « التجارب ».. ودونما تمييز في « الفكر » بين « الثوابت » وبين « المتغيرات ».. ومنهم « مستلهمون » لثوابت التراث، مع « الاسترشاد » بتجارب ومتغيرات التاريخ..

ومن السلفيين من يعيشون في الماضي والسلف.. ومنهم من يوازن بين « السلف - الماضي » وبين « الحاضر - المعاصر »..

وهذا المتنوع، الذي يقترب أحياناً من درجة التناقض، في مناهج قصائل السلفية، هو الذي أحاط مضامين هذا المصطلح - وخاصة في فكرنا المعاصر - بكثير من الغموض، وسوء الفهم، بل وسوء الظن أيضاً! فكل إنسان هو سلفي، بمعنى أن له سلفاً وماضياً ينتسب إليه ويرجع له، لكن التفاوت يأتي من الخلاف حول: من هو سلفك؟ وكيف تتعامل مع ماضيك؟ تهاجر إليه؟ أم تستدعيه؟ تقلده؟ أم تحتهده فيه؟

وأشهر المدارس الفكرية التي حاولت الاستئثار بمصطلح السلفية هي مدرسة «أهل الحديث»، التي دأبها الوافد اليوناني - فلسفة ومنطقاً - وأفرعتها عقلانية اليونان المنطلقة من النقل الديني، فاعتصمت بالنصوص، بمقدمة ظواهرها، بل وحتى ضعيفها على «الرأي» و«القياس» و«التأويل» وغيرها من ثمرات النظر العقلي.. وهي المدرسة التي انعقدت زعامتها للإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١هـ / ٧٨٠ - ٨٥٥م)، حتى ارتحلتها البعض كل السلفية، بينما هي في الحقيقة واحدة من فصائل هذا الاتجاه، وفي منهاج هذه المدرسة بعلو النص على غيره، بل ويكاد أن يفرد بالحجية.

فالنص.. وفقوى الصحابة.. والمختار من فتوى الصحابة عند اختلافهم.. والحديث المرسل والضعيف.. ثم القياس كضرورة - هي الأصول الخمسة التي حددها الإمام أحمد ابن حنبل أركاناً لمنهج هذه المدرسة.. رافضاً بذلك الرأي، والقياس، والتأويل، والذوق، والغفل، والسببية في الفكر الديني..



وعن هذا المنهج النصوصي « للسلفية - النصوصية » كتب صاغه الإمام أحمد بن حنبل، يقول واحد من أعلامها هو الإمام ابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١ هـ / ١٢٩٢ - ١٣٥٠ م):

الأصل الأول: النصوص؛ فإذا وجد النص أفتى به، ولم يلتفت إلى ما خالفه ولا من خالفه، كائنًا من كان.. ولم يكن يقدم على الحديث الصحيح عملاً ولا رأياً ولا قياساً ولا قول صاحب ولا عدم علمه بالمخالف.

الأصل الثاني: ما أفتى به الصحابة؛ فإنه إذا وجد لبعضهم فتوى، لا يُعرف أنه مخالفٌ منهم فيها، لم يُعَدَّها إلى غيرها.. ولم يقدم عليها عملاً ولا رأياً ولا قياساً..

الأصل الثالث: إذا اختلف الصحابة تحيّر من أقوالهم ما كان أقربها إلى الكتاب والسنة، ولم يخرج عن أقوالهم. فإن لم يتبين له موافقة أحد الأقوال حكى الخلاف فيها، ولم يجزم بقول.

الأصل الرابع: الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف؛ إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه، وهو الذي رجحه [ أي الحديث الضعيف ] على انقياس..

الأصل الخامس: انقياس للضرورة؛ فإذا لم يكن عنده في المسألة نص، ولا قول الصحابة، أو واحد منهم، ولا أثر مرسل أو ضعيف، عدل إلى القياس، فاستعمله للضرورة..

هذا هو المنهج النصوصي لأشهر فصائل السلفية في تراثنا الفكري وواقعنا المعاصر.

وهناك سلفيون جمعوا ما بين السلفية والتجديد، حتى لقد وجدنا سلسلة المجددين عبر تاريخ الإسلام يجمعون بين السلفية في فهم الدين، وذلك عندما يعودون في فهم الدين إلى الكتاب والسنة، وفهم السلف الصالح هذه المنابع الجوهرية والنقية. ثم يحدّثون في فهم الواقع ومستجداته، مع عقد الشرائع بين فقه الأحكام وفقه الواقع.. فلا يقفون - فقط - عند ظواهر النصوص، وإنما يعملون فيها أدوات النظر العقلي.. وعن المنهاج التجديدي هذه «السلفية - العقلانية» يعبر الإمام محمد عبده (١٢٦٥ - ١٣٢٣ هـ / ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م) عندما قال: «لقد ارتفع صوتي بالدعوة إلى تحرير العقل من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة، قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه إلى منابعها الأولى، واعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لئلا يترد من شططه، وتقل من خبطه وخطئه، لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الإنساني، وإنه على هذا الوجه يعد صديقاً للعلم، باعتماداً على البحث في أسرار الكون، داعياً إلى احترام الحقائق الثابتة، مطالباً بالتعويل عليها في أدب النفس وإصلاح العمل»<sup>(١)</sup>.

ففي منهاج هذه السلفية العقلانية تأخى النص والعقل. وتراعى العلم والدين، وتآزرت السلفية والتجديد<sup>(٢)</sup>.

(١) مراجع:

١- [عقائد السلف: للأئمة: أحمد بن حنبل والبخاري وابن قتيبة وعشاق الدارمي]

تحقيق: د. علي سامي النشار، ود. عمار الطائي، طبعة دار السلام سنة (٢٠٠٧ م)

## السَّلَفِيُّونَ

ومفردهما: سَلَفِي، هم: الذين يحتذون حذو السلف، الذين سلفوا، أي سبقوا ومضوا.

وإذا استثنينا تيار « الحداثة » بالمعنى الغربي، والتي تقيم وتقيم أصحابها « قطيعة معرفية » مع القرون، فإن أغلب تيارات الفكر ومذاهبه ومدارسه يمكن - بدرجات متفاوتة، ومعاني متفاوتة - أن تدخل في إطار السلفيين؛ لأن لها ماضياً ومرجعية وتمودجاً ترجع إليه وتنسب له، وتحتذي، وتستصحب ثوابته ومناهجه.. فليس هناك - في الحقيقة - صاحب فكر بلا ماضي، منها كان في هذا الفكر من إبداع.. وإذا كان السلف هو الماضي، فكلنا سلفيون..

لكن السلفيين أنواع.. فمن السلفيين من « يقلد » السلف.. وهؤلاء هم أهل الجمود والثقلية، ومن السلفيين من يرجع إلى السلف، فيجتهد في ميراثهم وتراثهم، عيماً فيه « الثوابت » عن « المتغيرات »، والصالح للاستصحاب والاستلهام عن ما تجاوزته الوقائع المتغيرة، وإعادة التبدل، والأعراف المختلفة، والمصالح المستجدة..

٢- ابن القيم: [إعلام الموقعين] طبعة بيروت، سنة (١٩٧٣م).

٣- [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبيد] دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، طبعة دار الشروق، القاهرة، سنة (١٩٩٣م).

٤- د. محمد عمارة: [نباتات الفكر الإسلامي] طبعة دار الشروق، القاهرة، سنة (١٩٩٨م).

ومن السلفيين من يستلهم من فقه السلف ما يتطلبه فقه الواقع الجديد.. ومنهم من يهاجر من واقعه المعيش إلى واقع السلف الذي تجاوز الزمان وإلى تجاربهم التي طرحتها القرون.. ومن السلفيين من سلفه عصر الازدهار والإبداع في تاريخنا الحضاري.. ومنهم من سلفه عصر الركاسة والتراجع في مسيرتنا الحضارية.. ومن السلفيين من سلفه تراثنا وحضارتنا وثقافتنا الوطنية والقومية والإسلامية.. ومن السلفيين من سلفه تراث « الآخر » الحضاري ومذاهبه وتياراته الفلسفية والاجتماعية.

وبهذا المعنى يمكن إدخال « الليبراليين » الذين يحتذون حذو « الليبرالية » الغربية - والماركسيين - الذين يحتذون حذو الماركسية الغربية - وأمثالهم من المتغربين - في عداد السلفيين، الذين أصبح الموروث والماضي الغربي سلفاً لهم يحتذونه، أحياناً مع قدر من التحوير، وأحياناً بجمود وتقليد.

ومن السلفيين من سلفه المذاهب والتيارات « النصوصية - الحرفية » في تراثنا.. ومنهم من سلفه تيارات العقلانية في تراثنا.. أو النزعات الصوفية في موروثنا الحضاري.. ومن السلفيين من سلفه مذهب تراثي بعينه يتعصب له ولا يتعداه.. ومن السلفيين من مرجعيته تراث الأمة، على اختلاف مذاهبها. يحتضنها جميعاً، ويعتبرها، ويتخير منها.

لكن.. ومع صدق وصلاحية إدخال أغلب تيارات الفكر تحت مصطلح السلفيين، إلا أن هذا المصطلح قد ادعاه واشتهره

وكاد يحتكره أولئك الذين غلبوا النص، وفي أحيان كثيرة ظاهر النص، على الرأي والقياس وغيرهما من سبل وآليات النظر العقلي. فوقفوا عند « الرواية » أكثر من وقفهم عند « الدراية » وحرّموا الاشتغال بـ « علم الكلام » فضلاً عن الفلسفات الوافدة على حضارة الإسلام.. وهؤلاء هم الذين يطلق عليهم - أحياناً - : « أهل الحديث »؛ لاشتغالهم بصناعة المأثور وعلوم الرواية، ورفضهم علوم النظر العقلي..

وإمام هذه المدرسة، هو أبو عبد الله أحمد بن حنبل ( ١٦٤ - ٢٤١هـ / ٧٨٠ - ٨٥٥ م )، وفيها نجد أبرز الأئمة الذين اشتغلوا بصناعة الرواية وعلومها، من مثل: ابن راهويه ( ٢٣٨هـ - ٨٥٢ م ) - إمام علم الجرح والتعديل - وأصحاب الصحاح والجوامع والمسانيد البخاري ( ٢٥٦هـ، ٨٧٠ م )، وأبو داود ( ٢٧٥هـ، ٨٨٨ م )، والدارمي ( ٢٨٠هـ، ٨٩٣ م )، والطبراني ( ٣٦٠هـ، ٩٧١ م )، والبيهقي ( ٤٥٨هـ، ١٠٦٦ م ).. إلخ.. إلخ..

ولقد تطورت هذه المدرسة - في مرحلة ابن تيمية ( ٦٦١ - ٧٢٨هـ / ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م )، وابن قيم الجوزية ( ٦٩١ - ٧٥١هـ / ١٢٩٢ - ١٣٥٠ م )، فضمت إلى المأثور بعضاً من أدوات النظر العقلي، وإن ظلت الغلبة والأولوية عندها للنصوص والمأثورات.

فلمنهاد النصوصي، هؤلاء السلفيين، قد صاغه الإمام أحمد ابن حنبل - شعراً - قال فيه:

دين النبي محمد آثار  
نعم النمطية للفتى الأخبار  
لا تُخذ عن عن الحديث وأهله  
فالرأي ليل والحديث نهار  
وعبر عنه أحد أعلامهم - شعراً أيضاً - فقال:  
العلم: قال الله قال رسوله  
قال الصحابة، ليس تخلف فيه  
ما العلم نصيبك للخلاف سفاهة  
بين النصوص وبين رأي سفيه  
كلا، ولا رد النصوص تعمدًا  
حذرًا من التجسيم والتشبيه

وعن هذا المنهاج يعبر ابن القيم، فيقول: «إن النصوص محيطة  
بأحكام الحوادث، ولم يُخلطنا الله ولا رسوله على رأي ولا قياس..  
وإن الشريعة لم تُخرجنا إلى قياس قط، وإن فيها غنية عن كل رأي  
وقياس وسياسة واستحسان، ولكن ذلك من شروط بقهم يؤثبه  
الله عباده فيها».

فلقد ظل النص وحده هو المرجع عند هؤلاء السلفيين..  
لكن التطور قد أصاب هذا المنهاج النصوي - في مرحلة  
ابن تيمية وابن القيم - فحدث إعمال الفهم والعقل في  
النصوص، دون الاكتفاء بالوقوف عند ظواهر هذه النصوص..  
٤٩

ولقد كان غلو هؤلاء السلفيين في الانحياز إلى « النص » وحده، ثمرة لعوامل كثيرة، منها: مخافة غلو مضاد انحاز أهلهم وهم فلاسفة العقلانية اليونانية، من المشائين - إلى عقلانية غير مضبوطة بالنص الديني.. وأيضاً النزعة الصوفية الباطنية الإشرافية، التي انحازت إلى الذوق والحس، دونها ضابط من النص ولا من العقل.

ولأن هذه النزعات جميعها - النصوية منها والعقلانية والباطنية - قد شابها قدر كبير أو قليل من الغلو، فلقد ظلت عاجزة عن استقطاب جمهور الأمة، وانحاز هذا الجمهور إلى النزعة الوسطية في السلفية، تلك التي جمعت بين « النقل » و « العقل » ووازنت بينهما، وهي « الأشعرية » التي أسسها إمامها أبو الحسن الأشعري، علي بن إسماعيل (٢٦٠ - ٣٢٤هـ / ٨٧٤ - ٩٣٦م)..

ففي هذه المدرسة - من مدارج السلفيين اجتمع النقل والمأثور مع النظر العقلي والاشتغال بعلم الكلام - انادي حرّم السلفيون النصويون الاشتغال به - مع علم أصول الفقه - الذي يمثل فلسفة العقلانية الإسلامية في التشريع - ثم تطورت هذه المدرسة - بعد مرحلة التأسيس - على يد كوكبة من أئمتها، في مقدمتهم الباقلاني، أبو بكر محمد بن أبي الطيب (٤٥٣هـ / ١٠١٣م) وإمام الحرمين الجويني، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف (٤١٩ - ٤٧٨هـ / ١٠٢٨ - ١٠٨٥م)، وحجة الإسلام، أبو حامد الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥هـ / ١٠٥٨ - ١١١١م)..



وعلى امتداد تاريخ الحضارة الإسلامية، ظلت هذه الصورة وهذه الموازنة ملحوظة في مدارس ومذاهب السلفيين.. فالترعة النصوصية تمثلها في عصرنا الحديث وواقعنا المعاصر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ - ١٢٠٦ هـ / ١٧٠٢ - ١٧٩٢ م) - « الوهابية » - بينما لا تزال « الأشعرية » - المتمثلة « للعقلانية - النصوصية » - تستقطب جمهور المسلمين<sup>(١)</sup>.



(١) مراجع:

- ١- [ عقائد السلف: للأئمة أحمد بن حنبل، والبخاري وابن قتيبة، وعثمان الدارمي ]. جمعها ونشرها: د. علي سامي النشار، ود. عمار الطائبي، طبعة دار السلام، سنة (٢٠١٧ م).
- ٢- ابن القيم: [ إعلام الموقعين ]. د. طبعة بيروت، سنة (١٩٧٣ م).
- ٣- الأشعري: [ مقالات الإسلاميين ]. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. طبعة القاهرة، سنة (١٩٦٩ م).
- ٤- د. محمد عمارة: [ تيارات الفكر الإسلامي ]. طبعة القاهرة، سنة (١٩٩٨ م).

## التَّطَرُّفُ وَالْغُلُوُّ

التطرف: هو الذهاب إلى طرف الموقف أو الرأي، والبعد عن الوسط والوسطية والتوازن والاعتدال، سواء أكان ذلك التطرف في الفكر - الديني وغير الديني - أو في الفعل والسلوك.. وهذا التطرف هو الذي عبر عنه الفكر الإسلامي بمصطلح «الغلو».. أي المغالاة، والبعد عن الوسط والاعتدال.

وهذا الغلو الديني - ككل ألوان الغلو - ومنها الغلو اللاديني - هو: تجاوز الحد، الذي هو الوسطية الإسلامية الجامعة لعناصر الحق والعدل من الأقطاب المتفابلة والمتناقضة.. أقطاب غُلُوِّي الإفراط والتفريط..

ففي «العقلانية» - مثلاً - غلو إفراط، هو الذي يؤله العقل، وينكر أن يكون النوحى والنقل علماً أو مصدرًا من مصادر العلم، ويرفع شعار التنوير الوضعي الغربي العثماني: «لا سلطان على العقل إلا العقل وحده» مؤخاً العقل، وناقلاً لقدراته من «النسبي» إلى «المطلق»!

ويقابل غلو الإفراط هذا، وينافضه غلو تفريط، يتنكر للمنظر العقلي، ويفرط في الاحتكام إلى نعمة العقل التي أنعم الله بها على الإنسان، والتي هي جوهر الإنسان، ومعيار تميزه وامتيازها على غيره من المخلوقات.. ويكتفي أصحاب هذا الغلو بالوقوف

عند ظواهر النقل وحرفية النصوص، دون اعتبار لمقاصد هذه النصوص..

بينما حدد الوسطية الإسلامية، في هذه العقلانية، هو الموازنة بين العقل والنقل، وجمع عناصر الحق والعدل متبهما معاً، وذلك بالتأليف بين النقل الصحيح والعقل الصحيح، على النحو الذي يكون منهاج النظر « بالعقلانية المؤمنة » التي تقرأ النقل بالعقل، وتحكم العقل بالنقل، نافية تناقض النقل والعقل؛ لأن تقيض العقل ليس النقل، وإنما هو الجنون!

وعن هذه الوسطية الجامعة، والرافضة لغلوي الإفراط والتفريط، في علاقة العقل بالنقل - الشرع - تحدث سحجة الإسلام أبو حامد الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨ - ١١١١ م) فقال مصوراً تصويراً نموذجياً منهاج الوسطية الإسلامية الجامعة، الراضية لغلوي الإفراط والتفريط في العقل، والجامع لعناصر الحق والعدل من الأقطاب المتقابلة، والأطراف المتناقضة.. قال الغزالي: « إن أهل السنة.. قد اطلعوا على طريق الجمع بين مقتضيات الشرائع وموجبات العقول، وتحققوا أن لا معاندة بين الشرع المنقول، والحق المعقول؛ فمثال العقل: البصر السليم من الآفات والأذواء، ومثال القرآن: الشمس المنتشرة الضياء، فأخلق بأن يكون طالب الهداء المستغني إذا استغنى بأحدهما عن الآخر في غمار الأغبياء، فالمعرض عن العقل، مكنتياً بنور

القرآن، مثاله: المتعرض لنور الشمس مغمضاً للأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان، فالعقل مع الشرع نور على نور<sup>(١)</sup>.

وفي الممارسة والسلوك الديني، هناك غلو الإفراط، الذي يدبر الظاهر للدين وطبيباتها، ويجعل التدين الإسلامي صورة من الرهبانية التي ابتدعها النصاري، دون أن تكتب عليهم، والتي تعذب الجسد طلباً لحلاص الروح..

وهناك - على النقيض من هذا الغلو - غلو التفريط في الالتزام بالشعائر والروحانيات، وإطلاق العنان للغرائز الحيوانية، دونها تهذيب..

بينما حد الوسطية الإسلامية الجامعة في الممارسة والسلوك الديني، هو الجمع - في توازن واعتدال - بين الدين والدنيا. والدنيا والآخرة، وعمران الأرض وتركية النفس، والاستمتاع بالطيبات الدينية الحلال، على النحو الذي يجعل هذا الاستمتاع الآتي سبيلاً للسعادة الآخرة التي هي خير وأبقى..

وإذا كان «الشح» غلو إفراط، يجعل صاحبه وكأنه قد حجر على نفسه الاستمتاع بطيبات ما وهبه الله.. فإن «الإسراف» السفه، هو غلو تفريط يستوجب الحجر على صاحبه كي لا يبدد ما وهبه الله فيما لا يرضى عنه الله. بينما حد «الكرم» الذي يمثل الوسطية الجامعة «للعطاء» الذي غلا فيه المترف،

(١) أبو حامد الغزالي: [الاقتصاد في الاعتقاد]، (ج ٢، ص ٢٠٠) طبعة القاهرة

مكتبة صبيح - بدون تاريخ

و « التدبير » الذي غلا فيه الشحيح، هو الموقف الوسطي المحمود، الذي برئ من غلوي الإفراط والتفريط معاً..

وإذا كانت الوسطية الجامعة - التي هي خصيصة إسلامية - قد جعلت المنهاج الإسلامي شاملاً للدين والدولة، والفرد والأمة، والفرائض الفردية والفرائض الاجتماعية، والتشريع والتنفيذ، والمبادئ المرجعية والنظم والمؤسسات والآليات.. فإن محاصمة « السياسة » وإهمالها، هو لون من غلو التفريط في الاهتمام بأسور الناس، وإقامة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. كما أن اختزال الإسلام في السياسة والسيف والتفرز على الدولة، هو لون من غلو الإفراط.. بينما حد الوسطية الجامعة هو الذي يجعل المنهاج الإسلامي شاملاً - في توارن يراعي الأزمان والأولويات - لكل مناحي الحياة ولما بعد هذه الحياة: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: 177]، ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَرْوَاقَ الْإِسْلَامِ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، فالدين لله.. وأيضاً الوطن - الذي هو للجميع - هو للجميع لله تعالى..

والغلو الديني - إفراطاً كان أو تفريطاً - ككل ألوان الغلو قديم قدم الفكر الإنساني، والسنوك البشري الذي تحكمه وتوجهه الأفكار والمعتقدات والعادات.. ولقد ورد التعبير القرآني المباشر عن الغلو في حديث القرآن الكريم عن أهل الكتاب: ﴿ بَنَاهُمْ لِكَيْ لَا يَكُونُوا فِي رِجْلَيْكُمْ وَلَا يَضْرِبُوا عَلَى أَعْيُنِهِمْ إِذْ يَسْتَفْهِمُونَ حَسْبُ الْعَذَابِ ﴾ [البقرة: ١٧٩]، ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَرْوَاقَ الْإِسْلَامِ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، فالدين لله.. وأيضاً الوطن - الذي هو للجميع - هو للجميع لله تعالى..

أَتَيْنَاهَا إِلَىٰ مَرْجَةٍ وَدُوحٍ مِّنْهُ فَذُقُوا إِنَّهُمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بَعْدَ مَا كَانُوا يَتَّقُونَ وَلَا تَقُولُوا إِنَّهُمْ كَانُوا  
خَيْرًا لَّكُم مِّنْهُم مَّا أَفَاءَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ وَكَفَىٰ لَكُمْ سِتْرًا لِّأَن يَكُونَ لَكُمْ مِّنْهُ مَتَىٰ  
أَلْتَمَكُنَّ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧٨﴾ النساء: ١٧٨.

ومنذ صدر الإسلام، لم يخلُ المجتمع الإسلامي من الغلو  
والتغلاة.. سواء أكان ذلك غلو إفراط أم غلو تفريط..

فالذين استقلوا أعناقهم المصالح، فعزوا على صيام النهار  
أبدًا، وقيام الليل دائمًا، واعتزال النساء والزواج والإنجاب كليًا،  
قد أرادوا الإسلام غلو الرهبانية المتدعة، بينما هو الوسطية  
الجامعة والمتوازنة والعادلة..

وأهل الغلو في التصوف - الباطني.. غير الشرعي - قد  
فرطوا في الدنيا لحساب الآخرة، وفي الماديات لحساب الروحانيات،  
فاعتزلوا الدنيا والدولة والسياسة، وزهدوا في الطيبات المباحة،  
ناسين أن هذه هي الطريق القويم إلى سعادة الآخرة..

بينما كان هناك الذين اختزلوا الإسلام في السيف والدولة  
والحكومة والسلطان - مثل الخوارج - فتنكبوا - رغم شرف  
المقاصد - منهاج الإسلام في التغيير، وهو الدعوة والتربية  
وصناعة الإنسان السوي، بإعادة صياغته صياغة إسلامية ليثمر  
المجتمع الإسلامي السوي دولة الأسوياء، التي تحافظ على بقاء  
هذا المجتمع سويًا.

ولقد جاء في الحديث الشريف - الذي هو البيان النبوي للبلاغ

القرآني - انتهى عن كل ألوان الغلو في الدين - كل مناحي الدين - فقال ﴿٣٥﴾: «إياكم والغلو في الدين، فإنها أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»<sup>(١)</sup>، وكذلك انتهى عن الغلو في التعامل مع القرآن الكريم، إفراطاً أو تفريطاً، فقال ﴿٣٦﴾: «اقرأوا القرآن ولا تغلو فيه ولا تحقوا عنه»<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان الخوارج قد ارتادوا - في التاريخ الإسلامي - ميدان «الغلو المنظم» - كثرة - عندما جعلوا حاكمية الله ﴿٣٧﴾ - التي هي قضاؤه التكويني والتشريعي - نافية لحاكمية البشر الحاكمين في الدولة والسياسة والاجتماع، فخرجوا بذلك عن حد الوسطية الإسلامية الجامعة بين سيادة الحاكمية الإلهية، المتمثلة في شريعته الإلهية، وبين سلطة حاكمية البشر - أمة ودولة - التي هي حاكمية الخلفاء المستخلفين لله ﴿٣٨﴾. والتي قد تكون حاكمية بشرية «بارة» وقد تكون حاكمية بشرية «فاجرة»؛ لأنها لا تمتنع بالعصمة التي تمتع بها شريعة الله، ولا الأنبياء المرسلون..

إذا كان الخوارج قد بدأوا أولى حلقات هذا «الغلو المنظم» - كثرة - في الفكر الإسلامي، وفي وضع هذا الفكر المغالي في الممارسة والتطبيق - هبات.. وثورات.. ومعارك استنزفت

(١) رواه النسائي في كتاب الخج باب النفاط الخصى (٣٠٥٧) وابن ماجه في كتاب الخج باب قدر رمي الخصى (٣٠٢٩) والإمام أحمد في مسنده (٢١٥ / ١)  
(٢) رواه الإمام أحمد (٤٢٨ / ٣).



قواهم وقوى الدولة الإسلامية لأكثر من قرن من الزمان - فإن الوسطية الإسلامية الجامعة حاكمة لله، والحاكمة البشر المستخلفين عن الله، قد كانت واعية وحاضرة في مراجعة هذا الغلو منذ اللحظة الأولى لولادته..

فمنذ التحكيم في الصراع بين الراشد الرابع علي بن أبي طالب (٢٣ ق هـ - ٤٠ هـ / ٦٠٠ - ٦٦١ م) كرم الله وجهه، وبين معاوية بن أبي سفيان (٢٠ ق هـ - ٦٠ هـ / ٦٠٣ - ٦٨٠ م) ومن معه من أهل الشام - عقب معركة « صفين » (٣٧ هـ - ٦٥٧ م) .. وعندما هتف الخوارج - في معسكر علي - « لا حكم إلا لله » مكفرين الذين ارتضوا التحكيم - والحاكمة البشرية - في هذا النزاع السياسي.. كانت الوسطية الإسلامية الجامعة حاضرة، على لسان الإمام علي بن أبي طالب، الذي أجابهم: « إنها كلمة حق يراد بها باطل! نعم، إنه لا سركم إلا الله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إله إلا الله! وإنه لا بد للناس من أمير، ير أو فاجر »<sup>(١)</sup>

ومن « المفارقات » التي تدخل في باب « الموافقات » - أن شعار « الحاكمة » هذا، ومصطلحها، بمعناه « الخوارجي » الذي جنح أصحابه إلى جعل الحاكمة الإلهية تقيضًا ناقيًا لآية حاكمة بشرية، والذي بدأت به مسيرة « الغلو المنظم » في التاريخ

(١) علي بن أبي طالب: [نهج البلاغة] (ص ٦٥) طبعة دار الشعب - القاهرة

الإسلامي، قد توارى - هذا الشعر - عن أدبيات الفكر الإسلامي مع طي التاريخ الإسلامي لصفحة الخوارج كثرة مسلحة مستمرة.. وظل هذا المصطلح والشعار متوارياً حتى بعثه من مرقده العلامة المجاهد أبو الأعلى المودودي (١٣٢١ - ١٣٩٩هـ / ١٩٠٣ - ١٩٧٩م)، رغم ما بين المودودي والخوارج من خلاف واختلاف.. فكان أن بدأت مسيرة جماعات الغلو الإسلامي المعاصر تحت رايات شعار الحاكمية من جديد!

لقد بدأت هذه الجماعات من « بعض » - ونذكره على كلمة « بعض » - عبارات المودودي، التي كتبها في واقع هندي وهندوكي له ملايسات سياسية وحضارية خاصة، كان المسلمون فيها ٢٥٪ من سكان الهند - قبل التقسيم - وكانت الحاكمية البشرية، في ذلك الواقع، إما سلطة الاستعمار الإنجليزي الكافر، أو السلطة الهندوكية الكافرة، وكلتاهما عازمة على سحق الهوية الإسلامية للمسلمين الهنود.. ولذلك، وهذه الملايسات الهندية الخاصة، رفض المودودي - في بعض نصوصه - الحاكمية البشرية، التي رآها نقيضاً للحاكمية الإلهية!

ثم جاء الخطأ المزدوج لجماعات الغلو الإسلامي المعاصر. عندما نقلت هذا الشعر من الهند إلى الواقع العربي.. فكان خطأ مزدوجاً، تمثل في:

١ - تجريد عبارات المودودي عن الحاكمية من ملايساتها السياسية الخاصة التي أفردتها، وتحويلها إلى « دين ثابت » صالح

للتطبيق في أي مكان، فبدأت هذه الجماعات توظيف عبارات المودودي هذه في واقع عربي يمثل المسلمون فيه ٩٦٪ من السكان، فتحول « الفكر السياسي » النسبي، والمرتبط بالواقع الذي يلمره ويحدد طبيعته وتطوره، إلى « دين ثابت » صالح لكل زمان ومكان..

٢ - أما الخطأ الثاني، الذي وقعت فيه جماعات الغلو الإسلامي المعاصر - عندما انطلقت من عبارات المودودي عن « الحاكمية » - فلقد تمثل في انتزاع النصوص الملتبسة والموهمة والمجتزأة من كتابات المودودي حول الحاكمية، وإهمال المنهاج العلمي في القراءة الكاملة للمشروع الفكري والسياسي للمودودي، تلك القراءة التي تضبط مفهوم المودودي لمعنى مصطلح الحاكمية.. والتي تتصف الرجل عندما تبرئه من المسؤولية عن فكر وسلوك جماعات الغلو هذه، التي ظلمته عندما زعمت أنها قد بدأت من عنده.. كما ظلمه أهل الغلو اللاذيني عندما سلموا بنسبة جماعات الغلو هذه إلى هذا الداعية الإسلامي العظيم..

وبجلاء هذه الحقيقة.. وسلوكاً لمنهاج الدراسة النقدية الموضوعية التي تعطي كل ذي حق حقه، تبدأ مع أولى مقولات الغلو الإسلامي المعاصر.. مقولة « الحاكمية ».. متبعين ثمراتها الفكرية، وخاصة: - مقولة « جاهلية » حضارتنا الإسلامية ومجتمعاتنا ودولنا الإسلامية المعاصرة..

- ومقولة « كفر وتكفير » هذه المجتمعات المعاصرة ودورها وحكوماتها..

- بل والقول « بارتداد الأمة الإسلامية » عن الإسلام منذ قرون!

- وانتهاء بالتفسيرات المغالية والمخاطبة لفكرة « الفرقة الناجية »، التي جعلت وتجعل قلة من الغلاة يتصورون أنهم وحدهم هم « الفرقة الناجية »، وأن الأغلبية الساحقة من سواد الأمة وشعوبها - فضلاً عن حكوماتها - هالكون في نار الجحيم!

تلك المقولات التي جعلت هؤلاء الغلاة يفاصلون المجتمعات الإسلامية، ويحاولون الانفصال عنها - بالكفر والخبرة حياً - وبالعزلة الشعورية حياً - وبالاستعلاء على سواد الأمة في كل الأحيان.. الأمر الذي جعل من هؤلاء الغلاة « خوارج » على الأمة والمجتمعات الإسلامية، فضلاً عن الدول والحكومات.. سواء أكان « خروجهم » مسلحاً أم غير مسلح.. وذلك على الرغم مما يحسبون ويعتقدون من بعد انشققة وشدة الخلاف بينهم وبين الخوارج القدماء!

\*\*\*

## الجاهلية والتكفير

وإذا كانت بعض صياغات الأستاذ المودودي ( ١٣٢١ - ١٣٩٩هـ / ١٩٠٣ - ١٩٧٩م ) قد تعاملت مع مفهوم « الجاهلية » بشكل ملتبس وموهم.. فإن الرجل قد تعامل مع مصطلح « الجاهلية » تعاملًا يحتاج إلى نقد موضوعي وتصويب شجاع..

فالجاهلية - في المصطلح العربي والإسلامي - هي « زمن الفترة، ولا إسلام ».. أي الفترة بين رسولين ورسالتين وشرعتين. عندما لا يكون هناك دين صحيح سائد، وإنما يكون الشرك والوثنية محور الاعتقاد<sup>(١)</sup> والذين أطلقوا وصف الجاهلية على المجتمعات الإسلامية المعاصرة وحضارتها ودولها وحكوماتها، انطلاقًا من أن الجاهلية هي « حالة » وليست « فترة زمنية » - ومنهم المودودي والذين ساروا على دبره - قد جانبهم الترفيق عندما لم يميزوا بين وجود « شوائب جاهلية » في المجتمعات الإسلامية المعاصرة وبين « عموم الجاهلية » في هذه المجتمعات.. فعموم الجاهلية يعني انعدام الإسلام، وتحول الشرك والوثنية

(١) ابن منظور: ( لسان العرب ) طبعة دار المعارف، القاهرة، و [ المعجم الوسيط ]، مجمع اللغة العربية، طبعة القاهرة سنة ( ١٣٩٢هـ ) سنة ( ١٩٧٢م ) و [ معجم ألفاظ القرآن الكريم ]، مجمع اللغة العربية، طبعة القاهرة، سنة ( ١٩٧٠م ) .

إلى محور الاعتقاد في هذه المجتمعات.. وهو ما لا يقول به إلا الغلاة..

إن مجتمع النبوة على عهد رسول الله ﷺ لم يخل من " شوائب الجاهلية " ومع ذلك.. فلا يمكن تعاقل أن يصفه بأنه مجتمع جاهلي.. ففي صحيح البخاري - من حديث جابر بن عبد الله - قال: كنا في غزاة، فسمع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: « ما بال دعوى الجاهلية.. دعوها فإنها منتنة <sup>(١١)</sup> ».

فوجود دعوى الجاهلية المنتنة، وبروزها حتى على ألسنة بعض الصحابة لا يعني سيادة الجاهلية وعمومها.. ومثل ذلك، حديث أبي ذر الغفاري: « أنه ساء رجلاً، على عهد رسول الله ﷺ، فعثره بأمره.. فأثنى الرجل النبي فذكر ذلك له، فقال له النبي ﷺ: « إنك امرؤ فيك جاهلية <sup>(١٢)</sup> ».. فوجود شيء من الجاهلية في الصحابي الجليل أبي ذر، لا يعني أنه جاهلي بحال من الأحوال! لكن المودودي قد انطلق من دعوى غيبة الحاكمية الإلهية عن المجتمعات الإسلامية والدول الإسلامية - فصلاً عن مجتمعات الحضارة الغربية - فذهب من هذا المنطلق إلى الحكم على كل

(١١) رواه البخاري ومسلم وابن حبان في صحيحه

(١٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والإمام أحمد.

المجتمعات الإسلامية ودولها بالجاهلية - ومن ثم بالتكفير - وذلك دون أن يكفر الأفراد أو الأمة..

بل وذهبت به المجازفة إلى الحكم بسيادة الجاهلية في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية منذ السنوات الأخيرة لخلافة الراشد الثالث عثمان بن عفان (٤٧ ق هـ - ٣٥ هـ / ٥٧٧ - ٦٥٦ م) ! لقد كتب عن جاهلية الغرب، فقال عن عصرها: « إنه عصر الجاهلية المحضة.. الجديدة.. والمعاصرة.. والمتحضرة »<sup>(١)</sup>.

وكتب عن ارتداد حضارتنا الإسلامية وثقافتنا الإسلامية، والنظام الاجتماعي الإسلامي إلى الجاهلية منذ عهد عثمان بن عفان، فقال: « إن الغايات التي حققها النبي ﷺ قد سار على نهجه فيها أبو بكر الصديق (٥٢ ق هـ - ١٣ هـ / ٥٧٣ - ٦٣٤ م)، وعمر الفاروق (٤٠ ق هـ - ٢٣ هـ / ٥٨٤ - ٦٤٤ م) .. ثم انتقل الأمر بعدهما إلى سيدنا عثمان ؓ، وبقي على ما أقامه عليه النبي إلى عدة من السنين في صدر ذلك العهد..

ولكن الخليفة الثالث كان لا ينصف بتلك الخصائص التي أوتيها العظميان اللذان سبقاه.. فلقد كان يتقصه بعض تلك الصفات اللازمة للحكم والأمر، التي كانت على أتمها في

(١) الفهودي، [ الحكومة الإسلامية ]، ص ١٦٣، ٥٥، و« موجز تاريخ محمد الدين وإحيائه » [ ص ١٦ ]، ترجمة: محمد كاظم مياقي، طبعة بيروت، سنة (١٩٧٥ م).



أبي بكر وعمر.. فوجدت الجاهلية سبيلها إلى النظام الاجتماعي الإسلامي. وإن تبارها الجارف، وإن حاول عثمان صده ببذل نفسه ومهجته، إلا أنه لم ينكفئ، ثم خلفه علي ( ٢٣ ق هـ - ٤٠ هـ / ٦٠٠ - ٦٦١ م ) كرم الله وجهه، واستفرغ جهده لمنع هذه الفتنة وحماية السلطة السياسية في الإسلام من تمكن الجاهلية منها؛ ولكنه لم يستطع أن يدفع هذا الانقلاب الرجعي المركوس حتى يبذل نفسه، فانهى بذلك عهد الخلافة على منهاج النبوة، وحل محلها الملك العضود Tyrant kingdom، وبدأ الحكم والسلطة يقومان على قواعد الجاهلية بدلاً من قواعد الإسلام.. " (١)

ثم يمضي الموقوفي على ضرب هذه المجازفة، فيحكم بتأييد الجاهلية وسيادة ضلالاتها وأباطيلها في الحياة الإسلامية والحضارة الإسلامية وثقافتها، بعد عهد عمر بن عبد العزيز ( ٦١ - ١٠١ هـ / ٦٨١ - ٧٢٠ م ) فيقول: " لقد انتقلت أزمة السياسة والحكومة، بعد عمر بن عبد العزيز إلى أيدي الجاهلية إلى الأبد، فقامت سلطة بني أمية، فبني العباس، فالملوك الأتراك، والذي جاءت به هذه الحكومات من الأعمال والخدمات يتلخص في أنها استوردت فلسفات اليونان والروم والعجم وأشاعتها بين المسلمين على صورتها التي كانت عليها، وبجانب آخر

(١) [موجز تاريخ محمد الدين وإحيائه] (ص ٣٤-٣٧)

نشرت - بقوة الحكم وأموال الدولة - ضلالات الجاهلية الأولى وأباطيلها في جميع العلوم والفنون والتمدن والاجتماع<sup>(١)</sup>.

ويعمضي المودودي فيقول عن هذه المردة إلى الجاهلية: «فكان من الطبيعي أن يصحب ذلك كله رواج فلسفة الجاهلية وآدابها وفنونها، فتدوّن العلوم والمعارف على طرازها»<sup>(٢)</sup>.. فالخضارة التي ازدهرت في قرطبة وبغداد ودخية والقاهرة لا دخل للإسلام فيها ولا صلة.. وتاريخها ليس إسلامياً، بل الأجدر أن يكتب في سجل الجرائم بمداد أسود..»<sup>(٣)</sup>!!

ومن هذا الغلو المودودي - غير المبرر - انطلق الشهيد سيد قطب (١٣٢٤ - ١٣٨٦ هـ / ١٩٠٦ - ١٩٦٦ م) - في لحظات المحنة والتوتر، التي كتب فيها (معالم في الفيزيق) - فقال: «إنه يدخل في إطار المجتمع الجاهلي، تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها «مسلمة»..

وهذه المجتمعات لا تدخل في هذا الإطار لأنها تعتقد بالوهمية أحد غير الله، ولا لأنها تقدم الشعائر التعبدية لغير الله أيضاً، ولكنها تدخل في هذا الإطار؛ لأنها لا تدين بالعبودية لله وحده في نظام حياتها، فهي - وإن لم تعتقد بالوهمية أحد إلا الله -

(١) المصدر السابق (ص ٦٣، ٦٤).

(٢) المصدر السابق (ص ٣٩).

(٣) [الحكومة الإسلامية] (ص ١٧١).

تعطي أخصر خصائص الألوهية لغير الله، فتدين بحاكمية غير الله، فتنتقي من هذه الحاكمية نظمها، وشرائعها، وقيمها، وموازينها، وعاداتها وتقاليدها، وكل مقومات حياتها تقريباً.. إن عرقف الإسلام من هذه المجتمعات كلها يتحدد في عبارة واحدة: إنه يرفض الاعتراف بإسلامية هذه المجتمعات كلها<sup>(١)</sup>.

فالإسلام هذه المجتمعات - عند سيد قطب - هو مجرد « زعم » لأنها - وإن لم تعبد غير الله - قد دانت في كل مناحي حياتها لحاكمية غير الحاكمية الإلهية - في التنظيم والشرائع والقيم والموازين والعادات والتقاليد، وكل مقومات حياتها تقريباً !!

بل وتجاوز سيد قطب مجازفة المودودي، عندما لم يكتب - كالمودودي - بالحكم بجاهلية « المجتمعات » الإسلامية، و « دولها » و « تاريخها » و « ثقافتها » و « حضارتها ».. وإنما ذهب فأعلن « القطاع الأمة الإسلامية عن الوجود منذ قرون »! وأن المهمة التي يدعو إليها، هي إيجاد الأمة والجماعة المسلمة من جديد!

ذهب سيد قطب - في المجازفة - إلى هذا المدى، فكتب يقول: « إن وجود الأمة المسلمة يعتبر قد انقطع منذ قرون كثيرة.. فالأمة المسلمة ليست « أرضاً » كان يعيش فيها الإسلام، وليست « قومًا » كان أجدادهم في عصر من عصور التاريخ يعيشون بالنظام الإسلامي.. إنها « الأمة المسلمة » جماعة من البشر، تنبثق

(١) سيد قطب: [ معالم في الطريق ] (ص ١٠١، ١٠٣)، طبعة القاهرة، سنة

(١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م)

حياتهم وتصوراتهم وأوضاعهم وأنظمتهم وقيمهم وموازينهم كلها من المنهج الإسلامي..

وهذه الأمة - بهذه المواصفات - قد انتطعت وجودها منذ انتطاع الحكم بشرعية الله من فوق ظهير الأرض جميعاً. ولذلك فالمسألة في حقيقتها هي مسألة كفر وإيمان، مسألة شرك وتوحيد. مسألة جاهلية وإسلام، وهذا ما ينبغي أن يكون واضحاً. إن الناس ليسوا مسلمين - كما يدعون - هم يحبون حياة الجاهلية. ليس هذا إسلاماً، وليس هؤلاء مسلمين، والدعوة اليوم إنما تقوم لترد هؤلاء الجاهليين إلى الإسلام، ولتجعل منهم مسلمين من جديد!!<sup>(١)</sup>

هكذا حكم سيد قطب - يرحمه الله - على « الأمة » - وليس فقط على « الدول والمجتمعات والحضارة » - بالكفر، والشرك، والجاهلية.. ونفى عن « الأمة » الإيمان، والتوحيد، والإسلام.. « فالناس » - نعم « الناس » - عنده ليسوا مسلمين كما يدعون! والمطلوب من الدعوة - التي حدد منهاجها في كتاب ( معالم في الطريق ) - هو رد هؤلاء الجاهليين إلى الإسلام، ولتجعل منهم مسلمين من جديد.

ولقد مضى ليؤكد هذا الحكم الخطير على « الأمة » فقال:

« ينبغي أن يكون مفهومنا لأصحاب الدعوة الإسلامية، أنهم حين يدعون الناس لإعادة إنشاء هذا الدين يجب أن يدعواهم

(١) المرجع السابق (ص ٨، ١٧٣).

أولاً إلى اعتناق العقيدة - حتى لو كانوا يدعون أنفسهم مسلمين - وتشهد لهم شهادات الميلاد بأنهم مسلمون! فإذا دخل في هذا الدين عصبة من الناس.. فهذه العصبة هي التي يطلق عليها اسم «المجتمع المسلم»<sup>(١)</sup>!

فكل ما حولنا وكل ما في العالم جاهلية.. بل جاهلية أظلم من الجاهلية التي عاصرها الإسلام.. وعبارة سيد قطب: «إن العالم يعيش اليوم كله في «جاهلية» من ناحية الأصل الذي تنبثق منه مقومات الحياة وأنظمتها، جاهلية لا يخفى منها شيئاً التيسيرات المادية الخائلة، وهذا الإبداع المادي الفائق.. فنحن اليوم في جاهلية كاجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم، كل ما حولنا جاهلية.. تصورات الناس وعقائدهم، عاداتهم وتقاليدهم، موارد ثقافتهم، فنونهم وآدابهم، شرائعهم وقوانينهم، حتى الكثير مما نحسبه ثقافة إسلامية، ومراجع إسلامية، وفلسفة إسلامية، وتفكيراً إسلامياً.. هو كذلك من صنع هذه الجاهلية»<sup>(٢)</sup>.

وهذا المستوى من المجازفة في الغلو، غير مسبوق في تاريخ الصحوة الإسلامية الحديثة والمعاصرة على الإطلاق!

تلك هي المقولات التي استغلها الغلو الإسلامي المعاصر.. والتي جعلت فصيلاً من الشباب، يبالغ في استغلال مقوماتها

(١) سيد قطب: [معالم في الطريق] (ص ٤٠).

(٢) المصدر السابق (ص ١٠، ٢١).

هذه - احكامية.. والجاهلية.. والتكفير - حاملاً السلاح ضد  
 حكام العصر.. من مثل الذين قالوا - في كتاب ( التريضة  
 الغائبية ) - : « إن الدولة تحكم بأحكام الكفر، بالرغم من أن  
 أغلب أهلها مسلمون.. والأحكام التي تعلنها المسلمين اليوم هي  
 أحكام الكفر، بل هي قوانين وضعها كفار وسيروا عليها  
 المسلمون.. بعد ذهاب الخلافة سنة ( ١٩٢٤ م )، واقتلاع أحكام  
 الإسلام كلها.. وحكام المسلمين لا يحملون من الإسلام إلا  
 الأسماء، وإن صلوا وصاموا وأدعوا أنهم مسلمون. وهدف  
 جماعة الجهاد هو: إقامة الدولة الإسلامية، لإعادة الإسلام لهذه  
 الأمة.. وسبيل ذلك هو السيف.. فالذي لا شك فيه هو أن  
 طواغيت هذه الأرض لن تزول إلا بقوة السيف.. وآية السيف،  
 التي خاطب الله فيها المسلمين فقال: ﴿ فَإِذَا أَنْصَلَحَ الظَّالِمُ لِلْإِسْلَامِ  
 قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ سَيْتٌ وَجَدْتُمُوهُمْ وَكُذُّهُمْ وَأَعَصَرُوهُمْ وَأَقْبَعُوا لَهُمْ صُكُكًا  
 مَرَصَدًا ﴾ [ التوبة: ٥ ]، قد نسخت - برأي هؤلاء الشباب - كل  
 آيات « العفو » و « الصفح » و « الإعراض » والأولية - في  
 الجهاد والقتال - هي ضد هؤلاء أحكام الكفرة، وليس ضد  
 الاستعمار، فالاستعمار هو « العدو البعيد »، بينما هؤلاء أحكام  
 الكفرة هم « العدو القريب ».. فعلياً أن نركز على قضيتنا  
 الإسلامية، وهي إقامة شرع الله في بلدنا، وجعل كلمة الله هي  
 العليا.. فالبداية بالقضاء على الاستعمار هو عمل غير مجيد،

وميدان الجهاد الأول هو اقتلاع تلك القيادات الكافرة واستبدالها  
بانتظام الإسلامي الكامل، ومن هنا تكون الانطلاقة»<sup>(١)</sup>!

لقد انطلق هذا الفصل - فصل العنف والعصب والاحتجاج -  
من تحت عباءة مقولات الغلو: الحاكمية.. والجاهلية.. والتكفير،  
معلنين:

- أن أحكام الإسلام قد اقتلعت كلها.

- وأن المجتمعات الإسلامية قد استبدلت قوانين الكفار  
بالأحكام الإسلامية.

- وأن حكام المسلمين اليوم لا يحملون من الإسلام إلا  
الأسماء، وإن صلوا وصاموا وأذعوا أنهم مسلمون.

- وأن السيف هو السبيل لإزالة هذه الطواغيت.

هكذا تبلورت، وتتابعت مقولات الغلو الإسلامي وممارسته في  
واقعة الإسلامي المعاصر.. لقد بدأت قصة هذه المقولات بمقولة:

١- تناقض الحاكمية الإلهية مع أية حاكمية بشرية..

٢- ولأن المجتمعات المعاصرة، بما فيها المجتمعات الإسلامية  
ودولها، قد احتكمت - بدرجات متفاوتة - إلى الحاكمية البشرية،

(١) محمد عبد السلام فرج: [الفريضة الغالية] (ص ٣، ٧، ٩، ٢٧، ٢٨، ٢٤، ٣٣) الكتاب مطبوع طبعة سرية خاصة. ولقد رجعت إلى مضمورة نسخته الأصلية  
في أوراق قضية اغتيال الرئيس محمد أنور السادات - أكتوبر، سنة (١٩٨١ م) -  
انظر كتابنا [الفريضة الغالية: عرض وحوار وتقييم]، طبعة بيروت، الثانية، سنة  
(١٩٨٣ م).

فلقد ارتدت هذه المجتمعات ودوها إلى جاهلية أشد وأظلم من الجاهلية الأولى، التي عاصرت ظهور الإسلام

٣- ومن ثم، فلقد كثرت هذه المجتمعات الجاهلية. حتى وإن ظلت تظن على نفسها كنمتي "الإسلام" و "المسلمين"؛ لأن تصوراتها - فضلاً عن ثقافتها وحضارتها - لم تعد إسلامية.

٤- الأمر الذي يستوجب تجريد السيف - الذي زعموا أن آيته قد نسخت كل آيات « الرحمة » و « العفو » و « الإعراض » و « الصلح » و « الصبر الجليل » - وذلك لإعادة الناس إلى الإسلام من جديد.

٥- وهكذا تحققت نبوءة افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها هالكة، إلا هؤلاء الذين انطلقوا من هذه المقولات، فإنهم وحدهم هم الناجون من التار!

تلك هي مقالات الغلاة في تكفير الأمة، والحكم على مجتمعاتها بالجاهلية.. وهي المقالات التي تراجع عنها أصحابها - والحمد لله - عندما كتبوا ونشروا « المراجعات » لأفكارهم في العقد الأخير من القرن العشرين..

ونحمد الله أن فكر جمهور الأمة الإسلامية، بتياراتها الفكرية العريضة، قد ظل - دائماً وأبداً - ملتزماً بمنهج الوسطية والاعتدال، رافضاً وناقداً الفكر الغلاة في « الجاهلية » و « التكفير ».. لقد ظل جمهور الأمة الإسلامية، وجمهور علماء الإسلام أوفياء للمنهج الإسلامي الرفض لنزعة التكفير.. وذلك انطلاقاً من



القرآن الكريم.. والسنة النبوية الشريفة.. والفكر الوسطي الذي ساد مذاهب الأمة وتياراتها الفكرية على امتداد تاريخ الإسلام.

- لقد قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَتَّبِعُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَعَالِدُ كَبِيرُهُ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ كَفَرَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَيَّنُوا أَلَمَنْ لَكُمْ اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ حَاسِبًا﴾ [النساء: ٩١].

- ويقول الإمام القرطبي (٦٧١هـ. ١٢٧٣م) في تفسير هذه الآية الكريمة: «إن في هذا التوجيه الإلهي من الفقه باباً عظيماً، وهو أن الأحكام تُناط بالمظان والظواهر، لا على القطع وإطلاع السرائر، فالله لم يجعل لعباده غير الحكم بالظاهر»<sup>(١)</sup>.

- وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فصباحنا أخراقات (مكان) من جهينة، فأمرت رجلاً، فقال: لا إله إلا الله، فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ فقال: «أقال لا إله إلا الله، وقتلته»<sup>(٢)</sup>.

قال: قلت: يا رسول الله، إنها قاتلها خوفاً من السلاح.

قال ﷺ: «أفلا شققت عن قلبه لتعلم أقالها أم لا؟» فما زال يكررها حتى غميت أني أنسلمت يومئذ»<sup>(٣)</sup>.

(١) [الجامع لأحكام القرآن] (٣٣٩/٢، ٣٤٠) طبعه دار الكتب المصرية.

(٢) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه والإمام أحمد.

- وفي شرح هذا الحديث، يقول الإمام النووي ( ٦٣١ ) .  
 ٦٧٦هـ / ١٢٣٣، ١٢٧٧م ) : « إِنَّمَا كُنْتُ بِالْعَمَلِ بِالنَّظَائِرِ وَمَا  
 ينطق به اللسان، وأما القلب فليس لك طريق إلى معرفة ما فيه » .  
 - ويقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالي ( ٤٥٠، ٥٠٥هـ /  
 ١٠٥٨، ١١١١م ) : « إِنَّهُ لَا يَسَارِعُ إِلَى التَّكْفِيرِ إِلَّا الْجَهْلَةُ ..  
 وينبغي الاحتراز من التكفير ما وجد الإنسان إلى ذلك سبيلاً،  
 فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة، المصر حين  
 يقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، خطأ، وأخطأ في ترك ألف  
 كافر أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم »<sup>(١)</sup> .  
 - ويقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ( ١٢٦٦،  
 ١٣٢٣هـ / ١٨٤٩، ١٩٠٥م ) : « إِنْ لَمْ يَجْعَلِ لِلْخَلِيفَةِ .. وَلَا  
 للقاضي .. وَلَا لِلْمُفْتَى .. وَلَا لِلشَّيْخِ الْإِسْلَامِ أَدْنَى سُلْطَةٍ عَلَى  
 العُقَاةِ وَتَقْرِيرِ الْأَحْكَامِ .. وَلَا يَسُوغُ لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْسِيَ حَقَّ  
 السُّيُورَةِ عَلَى إِيْرَانِ أَحَدٍ أَوْ عِبَادَتِهِ لِرَبِّهِ، أَوْ يَنَازِعَهُ طَرِيقَ نَظَرِهِ ..  
 فليس في الإسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الخشعة،  
 والدعوة إلى الخير والتنفير عن الشر، وهي سلطة خولها الله لأدنى  
 المسلمين، يقرع بها أنف أعلاهم، كما خولها لأعلاهم يتناول بها  
 من أدناهم ..

(١) [ الاقتصاد في الاعتقاد ] ( ص ١٤٣ ) طبعة مكتبة صبيح، ضمن مجموعة،  
 القاهرة، بدون تاريخ.

وليس مسلم - سبها علا كعبه في الإسلام - على آخر - منها  
انحطت منزلته فيه - إلا حق النصيحة والإرشاد.

ولقد اشتهر بين المسلمين وعرف من قواعد أحكام دينهم أنه  
إذا صدر قول من قاتل يحتمل الكفر من مائة وجه، ويحتمل الإيثار  
من وجه واحد، فحمل على الإيثار، ولا يجوز حمله على الكفر...<sup>(١)</sup>.

هكذا أعلن الإسلام - من خلال « البلاغ القرآني » و « البيان  
النبي » للبلاغ القرآني.. ومن خلال الفكر الإسلامي -  
ضرورة صيانة الإيثار عن « التكفير العبي » و « عبث التكفيريين »!

وإذا كانت هذه نماذج من الغلو الديني - كما تجلي في نزعة  
« التكفير » والحكم على المجتمعات « بالجاهلية » المستمرة  
« للتكفير » فإن هناك نوعاً آخر للغلو الفكري هو الغلو اللا ديني،  
الذي ذهب ويذهب إلى الطرف الآخر.. والنتيضة..

- فإذا كان أهل الجور والتقليد يقعون عند ظواهر النصوص  
وحرثتها، وافضين أي لون من ألوان « التأويل » أو حتى مراعاة  
مقاصد النصوص.. فإن الغلو الوضعي اللا ديني يذهب إلى التأويل  
العبي وغير المنضبط لجميع النصوص. وذلك بدعوى « أنه لا  
يوجد نص لا يمكن تأويله »<sup>(٢)</sup>.

(١) (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده [ ٢٨٣ / ٣ - ٢٨٩ ]، دراسة وتحليل:  
د. محمد عمار، طبعة بيروت، سنة (١٩٧٢ م).  
(٢) د. حسن حنفي: [ من العقيدة إلى الثورة ] ( ١ / ٣٩٧، ٣٩٨ )، طبعة  
القاهرة، سنة (١٩٨٨ م).

- وإن كانت كل الديالطات.. وكل الفلاسفة الإخمين قد اجتمعوا - عبر تاريخ الإنسانية - على أن الله هو الذي خلق الإنسان.. فإن أصحاب هذا الغلو اللاديني يذهبون إلى أن الإنسان هو الذي خلق الله.. وذلك - بزعمهم - أن الإنسان المحيط العاجز الجاهل المستعبد قد خلق ذاتاً أضفى عليها الصفات التي حرم منها، ثم أضها وعبدها.. فإذا ما تحرر هذا الإنسان من العجز والجهل والاستعباد والإحباط، فلا داعي لبقاء هذا الإله المخلوق!! بل لقد دعوا إلى إلغاء كلمة « الله » من اللغة، واستبدالها بكلمة « الإنسان الكامل »! وفي ذلك قالوا: « إن الله ليس له وجود ذاتي مفارق، وصفاته ليست صفات لذاته الواجبة الوجود - وجوداً مفارقاً للطبيعة والواقع والإنسان - وإنما هو - بزعمهم - اختراع الإنسان المحيط، عندما عاجز عن تحقيق ذاته الحية، العالقة، القادرة، المريدة، السميعة، البصيرة، المتكلمة، الفعالة لما تريد، فاخترع هذا الإنسان ذاتاً أضفى عليها هذه الصفات التي عاجز عن تحقيقها، بسبب الإحباط الذي يعيش.. فإذا ما نهض هذا الإنسان، فحقق ذاته، وتحلى بهذه الصفات، طويت هذه الصفحة من صفحات العلم الإلهي، وأصبحت عبارة « الإنسان الكامل » هي البديل والأدق في التعبير عن كلمة « الله »، التي تنتفي مبررات وجودها حتى في اللغة.

نعم.. لقد نقل أصحاب هذا الغلو اللاديني مقولات « التنوير الوضعي الغربي » إلى محيط الفكر الإسلامي.. فقالوا: « إن الله لفظة تعبر بها عن صرخات الألم وصيحات الفرح، أي

أنه تعبير أدبي أكثر منه وصفاً لواقع، وتعبير إنشائي أكثر منه وصفاً خبرياً؛ إنه لا يعبر عن معنى معين<sup>(١)</sup>.

والله باعتبار هو الوجود الواحد، أو المجرد التصوري، أو العلة الغائية، كل هذه التصورات هي في حقيقة الأمر عقولات إنسانية تعبر عن أقصى خصائص الإنسان.. فالإنسان.. يخلق جزءاً من ذاته ويؤلفه، أي أنه يخلق المؤلَّه على صورته ومثاله، فهو يؤوِّل أحلامه ورغباته، ثم يشخصها ويعبدها.. فالذات الإلهية هي الذات الإنسانية في أكمل صورها.. وأي دليل يكشف عن إثبات وجود الله إنما يكشف عن وعي عزيف<sup>(٢)</sup>.

- ثم يذهب أصحاب هذا الغلو اللاديني إلى التأويل العبيث - غير المضبوط بضوابط اللغة ولا ثوابت الاعتقاد - فيلغون عقيدة «الوحي الإلهي» إلى الأنبياء والمرسلين.. وفي ذلك يقولون: «إن العقل ليس بحاجة إلى عون، وليس هناك ما يند عن العقل»<sup>(٣)</sup>.. فالوحي لا يعطي الإنسانية شيئاً لا تستطيع أن تكتشفه بنفسها من داخلها<sup>(٤)</sup>، «وإن ما تصوِّره القدماء أنه من وحي الله، أعيد اكتشافه على أنه من وضع الإنسان»<sup>(٥)</sup>.

(١) د. حسن حنفي: التراث والتجديد [ص ١٢٨] طبعة القاهرة سنة (١٩٨٠ م).

(٢) د. حسن حنفي: [من العقيدة إلى الثورة] (١/٨٩، ٨٨)، (٢/٣٩، ٤٦).

(٣) المرجع السابق (٤/١٣٥، ٨٤٨).

(٤) د. حسن حنفي: [تربية الحسن الشاذلي]، المقدمة (ص ١٥١) طبعة القاهرة، سنة (١٩٧٧ م).

(٥) د. حسن حنفي: [مجلة قضايا إسلامية معاصرة] عدد ١٩، بيروت، سنة (١٤٢٣ هـ)، سنة (٢٠٠٢ م).

- ثم يذهبون فيدعون إلى طي صفحة الدين من الوجود الإنساني، فيقولون: « إن تقدم البشرية مرهون بتطورها من الدين إلى الفلسفة، ومن الإيمان إلى العقل، ومن مركزية الله إلى مركزية الإنسان، حتى تصل الإنسانية إلى طور الكمال، وينشأ المجتمع العقلي المستنير »<sup>(١)</sup>.

- ثم يذهب أصحاب هذا الفكر اللاديني إلى حد استفزاز الحس الإيماني لدى الأمة.. وإصدار قدسية مفدساتها.. فيقول أحدهم: « إن القرآن يقول كل شيء، دون أن يقول شيئاً »<sup>(٢)</sup>.

- ويقول آخر: « إن التقديس للمكتب المقدس خلع عليها وأسدل بواسطة عدد من الشعائر والطقوس والتلاعبات الفكرية الاستدلالية.. والظروف السياسية والاجتماعية والثقافية... ولن نستطيع تجنب مشاكل التفكير الثيرولوجي إذا استمر نظرنا إلى القرآن كنص ديني متعالي، يحتوي على الحقيقة التي تجعل حضور الله دائماً.. ولا بد من النظر إلى القرآن لبس على أنه كلام آت من فوق، وإنما على أساس أنه حدث واقعي عماداً كوقائع الفيزياء والبيولوجيا »<sup>(٣)</sup>.

(١) د. حسن حنفي: [ دراسات إسلامية ] ( ص ١٢٨ )، طبعة بيروت، سنة ( ١٩٨٢ م ).

(٢) د. طيب قزبي، [ النص القرآني ] ( ص ٢٣ ) .

(٣) د. محمد أم كونا: [ القرآن من النصير الموروث إلى نصير الخطاب المعاصر ] ( ص ٢٥، ٢٦ )، طبعة بيروت، سنة ( ٢٠٠١ م )، و [ الإسلام والتاريخ =

- ويقول ثالث: « لا بد من نزع هالة القداسة عن الروحي بتعرية آليات الأسطورة - [ أي الأسطورة ] والتعالي والتقديس التي يمارسها الخطاب القرآني «<sup>(١)</sup>» وذلك لتحقيق مرجعية العقل وحاكميته.. وإحلال سيادة الإنسان وسيطرته على الطبيعة مكان إمبريالية الذات الإلهية وهيمنتها على الكون «<sup>(٢)</sup>».

هكذا نجد أنفسنا بين لونين من الغلو والغلاة:

١- غلو الذين رأوا في الحاكمية الإلهية إلغاء لسلطة البشر والأمة والإنسان.. فحكموا على الذين عارضوا هذه السلطة بالجاهلية والكفر والخروج من ملة الإسلام.

٢- وغلو الذين فسروا حاكمية الإنسان على أنها رفض لحاكمية الله، فدعوا إلى إلغاء الدين والتدين من حياة الإنسان، بدءاً من الله.. إلى الروحي.. إلى النبوات والرسالات، وانتهاءً بالعقائد والمفاهيم والشرائع والقيم والأخلاق..

ويبقى - ونحن نواجه هذه الأتوان الشاذة من الغلو والتطرف - أن نعتصم بالوسطية الجامعة بين سيادة الشرائع السماوية وسلطة الأمة المستخلقة عن الله.

- والحداثة [ (ص ٢٥) - مجلة [ الوحدة ] - المغرب - عدد ١٩٨٩ م ] و [ تاريخية الفكر العربي الإسلامي ] (ص ٢٨٤).

(١) د. علي حريمه [ نقد النص ] (ص ٢١٣) طبعة بيروت، سنة (١٩٩٣ م).

(٢) د. علي حريمه صحيفة [ الحياة ] - لندن - في ١٨ - ١١ - ١٩٩٦ م.

لقد أنزل الله ﷻ الكتاب والحكمة.. أي الصواب الذي جاء به الوحي.. والصواب الذي أبدعه العقل الإنساني..

ولقد رسمت الشريعة الإلهية الإطار لسلطة الإنسان فردًا أو جماعة - واستخلف الشارع ﷺ الإنسان؛ لعمران هذا الوجود في إطار الحلال والحرام الذي جاءت به شريعة السماء.. وهكذا تأخى «العقل» و«الدين» في القرآن الكريم؛ المعجزة الخاتمة والخاتمة الخاتم الأنبياء والمرسلين - عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين الصلاة والسلام.





## الْإِرْهَابُ

إذا كان غريبًا - بل وعجيبًا - أن تشن أمريكا - منذ « قارعة » ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م - حربًا عالمية على ما تسميه « الإرهاب » دون الاتفاق على معنى هذا « الإرهاب »!! بل وفي ظل الإصرار على رفض عقد مؤتمر دولي تتفق فيه الحضارات العالمية وثقافتها على تعريف لهذا « الإرهاب »!!

إذا كان ذلك غريبًا وعجيبًا - بل ومريبًا - فإن السر في هذا الموقف الغريب والعجيب والمريب هو أن هذه الحرب العالمية الجديدة قد أرادها البعض حربًا على « الإسلام » تحت عنوان « الإرهاب »!

ويشهد على هذه الحقيقة - التي لم يعد بالإمكان إخفاؤها -:

١- أن الرئيس الأمريكي « جورج بوش الصغير » قد وصف هذه الحرب في ١٦ سبتمبر ٢٠٠١ م - أي قبل بدء التحقيق في « قارعة » ١١ سبتمبر - بأنها « حملة صليبية » أي حرب دينية مقدسة!

٢- ولم تفلح محاولات الاعتذار عن هذا الوصف، بالقول: إنه مجرد « زلة لسان ».. حتى إن مدير إذاعة الفاتيكان « الكاردينال باسكوالي بورجوميير » قد أكد دقة هذا الوصف، وطبيعة هذه الحرب الأمريكية، فقال: « في الوقت الذي يدعو الفاتيكان إلى

التعقل، ويشجع العمل الدبلوماسي، ويدافع عن الحق الدولي -  
أي الشرعية الدولية - تولى في الجانب الآخر قوة عظمى -  
أمريكا - تفوردها إدارة خولت لنفسها مهمة إنفاذية - مقدسة -  
واتخذت لمجة ومواقف صليبية»<sup>(١)</sup>.

٣- كما عبر بابا الفاتيكان «يوحنا بولس الثاني» (١٩٢٢ -  
٢٠٠٥م) عن: «خشيتيه من أن تثير الحرب الأمريكية على العراق  
صرعاً دينياً... بين المسيحيين والمسلمين».

٤- وقال الكاردينال «يولاچي» - مندوب البابا في المساعي  
الدبلوماسية لتجنب الحرب على العراق - أوائل سنة ٢٠٠٣م :-  
«إنها حرب ستؤدنا إلى مستقبل عظيم سيقوض فرص الحوار  
بين المسيحية والإسلام...»<sup>(٢)</sup>.

٥- وقال: «الأنبا يوحنا قلك» - نائب البطريرك الكاثوليكي  
في مصر - «إن نوحس يستخدم المسيح درعاً، والصليبية ثوباً  
للدفاع عن مصالح أمريكا المادية... وإنه كان يفصد ثلثاً معنى  
عبارة «الحملة الصليبية».. ولم تكن أبداً زلة لسان...»<sup>(٣)</sup>.

٦- ووصف الرئيس الأمريكي الأسبق: «جيمي كارتر»  
أيديولوجية الإدارة الأمريكية التي شنت هذه الحرب، بأنها  
أيديولوجية «المؤتمر المعمداني للجنوب الأمريكي - ساوثيرن

(١) صحيفة [ الحياة ] - لندن - في ٢٩ - ٢ - ٢٠٠٣م.

(٢) صحيفة [ الشرق الأوسط ] - لندن - في ٨ - ٣ - ٢٠٠٣م.

(٣) صحيفة [ العربي ] - القاهرة - في ١٦ - ٣ - ٢٠٠٣م.

بايتيست كونفنشون « المعروفة بالالتزام تجاه إسرائيل من منطلقات ثيولوجية ضيقة تستند إلى فكرة آخر مرحلة حياتية قبل حلول يوم الدينونة<sup>(١)</sup> .

٧- وأعلن السناتور الأمريكي « إدوارد كينيدي » والسناتور « بابريك ليهي » : « أن الإدارة الأمريكية مدفوعة إلى هذه الحرب « بحماسة مسيحية »<sup>(٢)</sup> .

٨- ووصفت مجلة : « نيوزويك » - الأمريكية - قائد هذه الحرب - الرئيس « بوش الصغير » - بأنه « حامل الإشارة... الذي يؤمن بأن حربه على العراق ستكون حرباً عادلة وفق المفهوم المسيحي، كما شرحه القديس أوغسطين ( ٣٥٤ - ٤٣٠ م )، وفصله كل من توما الأكويني ( ١٢٢٥ - ١٢٧٤ م ) ومارتن لوتر ( ١٤٨٣ - ١٥٤٦ م ) وآخرون... وأنه بوش - عندما استخدم مصطلح « الأشرار » قد نبش هذه الكلمة مباشرة من المزامير... وأنه يفكر في سياسة خارجية تستند إلى الإيمان المسيحي... ويفكر في حرب باسم الحرية المدنية - بما في ذلك الحرية الدينية - في القلب القديم للإسلام العربي... ويحظى بدعم من قاعدته في الجناح السياسي للمؤتمر المعبداني الجنوبي، من أمثال انقساوسة « ريتشارد لاند » و « فرانكلين جراهام » - الأب الروحي لبوش - والذي سب رسول الإسلام، ويندد

(١) صحيفة [ الشرق الأوسط ] في ١٠ - ٣ - ٢٠٠٣ م.

(٢) صحيفة [ الحياة ] في ٢٩ - ٢ - ٢٠٠٣ م.

بالإسلام باعتباره إيماناً عنيفاً فاسداً!... ولا يخفى - مع المبشرين الإنجيليين - رغبتهم تحويل المسلمين إلى المسيحية - لا سيما في بغداد...»<sup>(١)</sup>!!

في الوقت الذي شهد فيه هؤلاء الشهود - ومعهم كثيرون من أهلها - على طبيعة هذه الحرب العالمية، التي شنت على الإسلام عقب «قارعة» ١١ سبتمبر ٢٠٠١م... شهد كذلك كثيرون من المفكرين الاستراتيجيين الذين يخططون لصناعة القرار الأمريكي على ذات الحقيقة... حقيقة أن هذه الحرب ليست على «الإرهاب»، إنما هي حرب داخل الإسلام؛ لتتخلّى عن طبيعته ومنهجه الشامل للدين والدولة، والسياسة والقانون، والقيم والأخلاق، والدنيا والآخرة... وذلك حتى يقبل الإسلام - بدلاً من ذلك - بالقيم الغربية، والحداثة الغربية، والعلمانية الغربية... والمبدأ المسيحي الذي يدع ما تقصر لمقصر وما لله لله.

ومن بين عشرات الشهادات الأمريكية والغربية على هذه الحقيقة، حقيقة أنها حرب على الإسلام، تحت دعاوى «الإرهاب» - الذي حرصوا على عدم تعريفه -... من بين عشرات الشهادات نختار - مراعاة للمقام - شهادة المفكر الاستراتيجي الأمريكي «فرانسيس فوكوياما» التي يقول فيها - بصريح العبارة - : «إن الصراع الحالي ليس ببساطة ضد الإرهاب... ولكنه صراع ضد العقيدة الإسلامية الأصولية التي تقف ضد الحداثة الغربية...»

(١) النيوزويك - الأمريكية - عدد ١١ - ٣ - ٢٠٠٣م.

و ضد الدولة العلمانية... وهذه الأيديولوجية الأصولية تمثل خطراً أكثر أساسية - في بعض جوانبه - من الخطر الذي شكلته الشيوعية... والمطلوب هو حرب داخل الإسلام... حتى يقبل الحداثة الغربية... والعلمانية الغربية... والمبدأ المسيحي: «دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله...»<sup>(١)</sup>

هذه الحقيقة - حقيقة أنها حرب على الإسلام، الرفض للحداثة الغربية، والقيم الغربية، والعلمانية الغربية... وليست حرباً على الإرهاب - الذي اتخذ - في هذه الحرب - وظيفة السنار لإخفاء الحقيقة والتمويه عليها - كان الحرص - طوال تلك السنوات - على رفض الاقتراحات الغربية والإسلامية التي تلح على ضرورة عقد مؤتمر دولي لتحديد معنى «الإرهاب»، وللتمييز بينه وبين «الجهاد الإسلامي»، و «القتال المشروع» لتحرير الأوطان من الاستعمار... الأمر الذي يزيد من أهمية وضرورة التحديد والتحرير للمعنى والمضمون والمفهوم الإسلامي للإرهاب.

إن المفهوم الغربي لمصطلح «الإرهاب - Terror» والذي يعني استخدام العنف غير المشروع لترويع الآمنين، وإكراههم على قبول ما لا يريدون، وخصوصاً عندما يكون هذا الإرهاب ممارسة السلطة الحاكمة ضد المحكومين، أي: إرهاب الدولة،

(١) المرجع السابق، العدد السنوي - ديسمبر سنة (١٤٠١ هـ) - فبراير سنة (٢٠٠٢ م).

الذي يثبت الرعب في نفوس المحكومين<sup>(١)</sup>... إن هذا المفهوم الغربي للإرهاب هو أبعد ما يكون عن مفهوم هذا المصطلح في لغتنا العربية... وفي القرآن الكريم - الذي هو كتاب العربية الأول... ودينون شريعة الإسلام - بل إن الإسلام يرى مأساة الديانات السماوية من أن يكون الإرهاب والعنف والإكراه والترويع للأمنين سبيل أي منها في الدعوة إلى شريعة أي دين من تلك الديانات.

- فمنهاج الدعوة إلى اليهودية في شريعة موسى عليه السلام هو «القول اللين»، وليس العنف والحرب، والقتال والإرهاب: ﴿أَذْهَبَ أَتَ وَالْحُوكَ يَنْبَاتِي وَلَا يَبَا فِي ذِكْرِي﴾ (١) ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (٢) ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِيَا أَعْلَى بَدَّكَرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (٣) ﴿فَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَفَخْنَا أَنْ يَفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ (٤) ﴿قَالَ لَا تَحْفَافَا إِنِّي مَعْصُومًا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (٥) ﴿فَأَيُّاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ أَهْدَى﴾ [طه: ٤٢ - ٤٧].

ولأن موسى عليه السلام لم يقيم دولة، ولم يقد جيشاً، ولم يخض حرباً ولا قتالاً... وإنما ولد ونشأ وبعث ومات ودفن في مصر... فلقد ظلت شريعته الحقيقية بريئة من أي إكراه أو عنف أو إرهاب...

- وكذلك الحال مع النصرانية التي جاء بها عيسى ابن مريم عليه السلام فهي شريعة الصوفية المسالمة، والسلام الصوفي، التي بلغت في

(١) [معجم العلوم الاجتماعية] - مجمع اللغة العربية - طبعة القاهرة سنة ١٩٧٥ م.

السلام والمساواة حدوداً ومثلاً ربياً عززت على التطبيق في نطاق هذا العالم.

ولذلك قال المسيح: إن مملكته ليست في هذا العالم... فبراءة النصرانية - ومنهجها في الدعوة - من العنف والإكراه والإرهاب الذي يرفع الآمنين، براءة لا تحتاج إلى كثير حديث...

- وكذلك الحال مع منهج الدعوة الإسلامية - في الدعوة إلى الله - فلقد جاءت مؤكدة على المنهج الإلهي في الدعوة إلى الإيمان الإلهي... منهج الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن؛ لأن هذا المنهج هو الوحيد الذي يثمر إيماناً وتصديقاً قلبياً يبلغ مرتبة اليقين... بينما الإرهاب - بمعنى ترويع الآمنين وإكراههم على ما لا يريدون - هو سبيل النفاق - الذي هو أشد سوءاً من الشرك الصراح، والكفر البواح - وليس سبيل الإيمان بأي حال من الأحوال...

أمام أولئك الذين يستندون إلى ورود الإشارة في القرآن الكريم - بسورة الأنفال - إلى الإرهاب، فإن خطأهم القاتل هذا إذا حسنت النوايا... وساء الفهم... هو في وقوفهم عند المصطلح، مغفلين تميز مفهوم هذا المصطلح في القرآن الكريم واللغة العربية عن مضمونه الغربي، الذي شاع ويشيع الآن في دوائر الفكر والثقافة والسياسة والإعلام... ولو أنهم فهموا سياق الآيات القرآنية، التي ورد فيها هذا المصطلح - بسورة الأنفال - ثم جمعوا إلى آيات الأنفال كل الآيات التي ورد فيها هذا المصطلح -

ومشتقاته - بالقرآن الكريم، ثم فسروا هذه الآيات، وفتحوا هذا المصطلح وفق مضمونه العربي وسياقه القرآني، لما تطرق إلى ذهن أحد أن هناك أدنى علاقة بين الإسلام وبين الإرهاب - بمعنى ترويع الأمنين بالعتف والعدوان والإكراه ...

إن آيات سورة الأنفال تتحدث عن المشركين الذين يقاتلون المسلمين، بقتلتهم في دينهم، وإخراجهم من ديارهم، وتخص بالحدث قوماً من هؤلاء المشركين المقاتلين احترفوا الحياة للعهد، وأخذ المسلمين على غرة، رغم ما بينهم من عهد للمسلم والأمان... فتطلب هذه الآيات القرآنية من المسلمين أن يعدوا من العدة، ويتخذوا من القوة ما يرهب ويخيف - أي يردع - هؤلاء الذين مردوا على الحياة، ونقض العهد، والغدر والعدوان... ما يردعهم عن هذه الحياة وهذا العدوان...

يخاطب الله ﷻ رسوله ﷺ في هذه الآيات فيقول: ﴿وَإِنَّمَا تَغَارَبَكُمْ مِنْ قَوْمِكُمْ فَالْيَدِ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَاسِقِينَ ١٥﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ١٦﴾ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِسُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ١٧﴾ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ قُوَّةٌ وَلَا نِيَّةٌ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٨﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْرَتَكُمُ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَقْصِرُ الْقُلُوبَ إِلَى جَنَاحِهَا فَأَنفَقَتْ مِمَّا فِي الْأَرْحَامِ جَمِيعًا مِمَّا أَلْفَتْ يَدُكَ قُلُوبُهُمْ وَلَيَجْعَلَ اللَّهُ أَلْفَ يَدٍ يَدَهُمْ إِنَّمَا يَكْمِئُ ١٩﴾ [الأنفال: ٥٨ - ٦٣].



فمعنى الإرهاب - هنا - هو التخويف لردع الخونة والمخادعين والغادرين؛ كي لا يغدروا بالمسلمين المعاهدين... وهو تخويف بثمره إعداد القوة الرادعة... وليس تخويف العدوان والعنف والإكراه، أي إنه التخويف الذي ينفي العنف والإكراه والقتال... فهو كالعقوبة الرادعة، إعلانها يمنع ويردع عن الجريمة، ومن ثم يمنع تطبيقها.. ولا علاقة لهذا الإرهاب - بهذا المعنى - بترويع الأمنين، وإكراههم بالعنف والقتال والإكراه - الذي هو معنى مصطلح « الإرهاب Terror » في الفكر الغربي.

إن امتلاك الاتحاد السوفييتي - إبان الحرب الباردة... في منتصف القرن العشرين - للسلاح - الرادع - النووي وأهمل ورجحي، هو الذي أربب - وردع - أمريكا وأخافها من العدوان الذي على السوفييت... فتحقق الأمن والأمان للعالم من هذه الكارثة النووية... وكذلك الحال مع امتلاك باكستان للرادع النووي؛ هو الذي جعل استخدام الهند لسلاحها النووي ضد باكستان أمراً مستحيلاً... بل لقد فتح توازن الردع النووي نوافذ السلام بين البلدين... وثو كانت اليابان - سنة ( ١٩٤٤ م ) - تمتلك الرادع النووي لأرعبت وأخافت أمريكا، ولنجت هيروشيما ونجازاكي من الكارثة النووية التي حاقت بها في ذلك التاريخ!

وهنا يكون الإرهاب - بمعنى التخويف الرادع للأعداء - هو الضمان لتحقيق الأمن والسلام للجميع.

ويشهد على هذه الحقيقة المفاهيمية - مع السياق الذي وردت به آيات سورة الأنفال - معنى مصطلح الإرهاب في العربية - لغة القرآن الكريم - ...

ونحن عندما نعود إلى " الراغب الأصفهاني " في كتابه: ( المفردات في غريب القرآن ) نجد أن معنى الإرهاب - في القرآن ولغته العربية - هو على الضد من العنف الذي يروع الأمنيين ويرعبهم... فهو من " الرهبة، بمعنى المخافة، مع تحرز واضطراب "، وليس هناك عاقل يمكن أن يفسر المخافة والرّهبة والخشية بالعنف الذي يروع الأمنيين ويرعبهم!... وتشهد على ذلك كل الآيات انقراطية التي وردت فيها إشارات إلى هذا المصطلح، وتصريفاته اللغوية: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي سُجَّتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْتَدُّونَ ﴾ ( الأعراف: ١٥٤ ) أي للذين يخافون ربهم ويخشونه.

﴿ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ لَارْهَبِينَ ﴾ ( البقرة: ٤٠ ) أي: خافوني واحشوني، ولا تحسوا أحدا سواي.

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ إِلَّا هِيَ وَحْدَ قُتَيْبٍ فَارْهَبُونِ ﴾ ( الحجر: ١ ) أي: أفردوا الله بحدّ بالمراقبة والخشية؛ لأنه المتفرد بالأكوهمية وحده لا شريك له.

﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ بِرُتُونٍ قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ أَخْبَرُ إِن سَكُنَّا عَنْ الْعَالَمِينَ ۖ قَالَتْ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُفَرِّينَ ۖ قَالُوا بِمُوسَى إِنَّمَا أَنْتَ مُنْجِي وَإِنَّمَا أَنْ

تَكُونُ عَنْ التَّائِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ قَلَّمَا أَلْقُوا سَكَبُوا أَهْلِيكَ التَّائِبِينَ  
وَأَسْرَفَهُمْ وَجَاءُوا بِسِخْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٤﴾ (الأعراف: ١١٣ - ١١٦) أي:  
أخافوهم خوفاً شديداً،

﴿ قَلَّمَا قَصَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ مَا نَسَكَ مِنْ حَتَابِ الطُّورِ نَكَارًا قَالَ  
لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا تَلْعَلُ أَنْتُمْ وَنَهَا بِعَجْرِي أَوْ جَعَدُوا مِنْ  
النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ ﴿١١٥﴾ قَلَّمَا أَتَاهَا نُودُوكَ مِنْ شَيْطَانِ الْوَارِ الْأَيْمَنِ فِي  
الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَسْمُوعَكَ إِذْ أَوْفَى أَنْتَ الْكَلْبِيعُ ﴿١١٦﴾  
وَأَنْ أَلْقَى عَصَاكَ قَلَّمَا رَأَاهَا لَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدَبِّرًا وَلَمْ يَعْقِبْ يَسْمُوعُ  
أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿١١٧﴾ أَسْأَلُكَ بِكَ فِي حَقِّكَ تَحْيِيَّ يَسْأَلُكَ مِنْ  
عَبْرِ سَوْرٍ وَتَضْمُنُ إِلَيْكَ جَمَاعَتَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَتَدْلِكَ بِرُحْمَتَيْنِ مِنْ رَحْمَتِكَ  
إِنَّكَ فَرِحْتَ وَمَلَائِكَةُ إِنْهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَتَيِّبِينَ ﴿١١٨﴾ (التقصير: ٢٩ -  
١٢٢) أي: من الحروف.

﴿ اللَّهُ نَزَّ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ  
الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ  
قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ ﴾ ﴿١١٩﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ  
وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصُرُوهُمْ يُؤْخَذُ الْأَوَّلُونَ لَنُيَبِّضَنَّكُمْ  
لَأَسْأَلَنَّ أَشَدَّ رَهْبَةً فِي شُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُوْنَ ﴿١٢٠﴾  
لَا يَتَّقُوا اللَّهَ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُخَصَّصَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ  
شَكْرِبَةٌ تُخَبِّرُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٢١﴾  
(الحج: ١١٩ - ١٢٤) أشد رهبة: أشد تخوفاً.

﴿ وَرَكَعًا يُدَارِعُ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾  
 فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ. ذُرِّيَّتُهُ إِنَّمَا  
 كَانُوا بُسْرُوعًا فِي الْخَبَرِ وَيَدْعُونَكَ ارْعِبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَكَ  
 خَاشِعِينَ ﴿ (الأنبياء: ٨٩، ٩٠) ﴾ رَعِبًا وَرَهْبًا: أي رجاء رحمتنا،  
 وخوفنا من عذابنا.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَاْكُلُونَ  
 أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْغِطْلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ  
 يَكْفُرُونَ بِالْهَدْيِ وَالْغَيْصَةِ وَلَا يُفْقَهُنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَتْرَهُم  
 بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿ [التوبة: ٣٤] ﴾ فَتَجِدُ أَتِلَّةَ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ  
 آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَنَجِدَكَ أَقْرَبَهُمْ قَوْمًا لِلَّذِينَ  
 آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ ذَلِكَ بِأَن مِّنْهُمْ فَيَسْبِغُ  
 وَرَهْبًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿ وَإِذَا سَأَلُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ  
 أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ عَلَمًا فَاكُنْ لَّكَ  
 مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [التوبة: ٨٢، ٨٣].

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ  
 اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَعِّفُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ  
 قِبَلِ قَوْلِهِمْ اللَّهُ الْفَرُّ يَوْمَ تَكُونُ ﴿ انْصَلَبُوا أَعْيُنَهُمْ  
 وَرَهْبَهُمْ تُرْكًا يَوْمَ دُوبِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا  
 إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا  
 يُشْرِكُونَ ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ  
 إِلَّا أَنْ يُشْعَلَ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿ [التوبة: ٣٠، ٣١].

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا نُونًا ذُكُومًا وَاجْتَبَيْنَاهُ فِي دُرِّيَّتَيْنَا الشُّبُورَةَ وَالْكُتُبَةَ  
فِيهِمْ مُتَهَيِّئِينَ وَكَذِّبُوا بَيْنَهُمْ فَفَقِدُوا ﴿٢٧﴾ ثُمَّ فَتَيْنَا عَلَى عَادِكِهِمْ دُجُومًا  
وَفَقَّيْنَا يَعْنِي آيَةَ مَرَمَةٍ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ  
اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ  
اللَّهِ فَمَنْ رَعَاهَا فَتَاتِنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَخْرَجْنَاهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ  
فَقُتِلُوا ﴾ [الحديد: ٢٦، ٢٧].

فالرهبانية: هم الذين يبالغون في الخوف من الله وفي خشيته...  
والرهبانية: هي المبالغة في الخشية من الله - وليس في أي من  
مضامين هذه المصطلحات القرآنية - يرهبون... فارهبون...  
ترهبون... استرهبوهم... الرهب... الرهبة... الرهبان... الرهبانية -  
ما يشي من قريب أو بعيد للمعنى الغربي للإرهاب... معنى:  
العنف الذي يروّج الأبرياء والأمينين ويرعبهم.

وإذا كان بعض المرجعين المفتريين يذهبون - رغم هذه  
الحقائق التي قدمناها - إلى اتهام الإسلام بالتأسيس للإرهاب..  
فيقول الزعيم « الديني - السياسي » القس الأمريكي « بات  
روبرتسون » - مؤسس جماعة « التحالف السياسي المسيحي » -  
التي تسيطر على الكونغرس الأمريكي، والحزب الجمهوري،  
والإدارة الأمريكية - وهو مرشح أسبق للرئاسة الأمريكية ..  
والأب الروحي للرئيس « بوش الصغير » الذي وُلِدَ - بوش -  
على يديه ولادته المسيحية الجديدة...! يقول هذا القس: « إن  
الدين الإسلامي دعا إلى العنف... وإنه بالنظر إلى المعنى

وأستتهم عندما اعتبروا « رفض التقيم الغربية... ومعارضة الأطياع الغربية » إرهاباً وعنفًا دموياً!! فإننا نقلت أنظارهم إلى « النطاق الفكري » الذي جعلهم يتهمون « النضحية » و« بيروون » « الجناء »!! نقول لهم:

- ألم تروا الممارسات التي تتعرض لها شعوب إسلامية كثيرة، قد غدت ضحايا وقرائس للعنف الغربي الصهيوني... في فلسطين... والعراق... والشيستان... وتايلاند... ويورما... والفيليبين... وغيرها من بلاد الإسلام؟

- إن إخراج الناس من ديارهم وأوطانهم، وتحويلهم إلى لاجئين، هو عنف وإرهاب وترويع للأبرياء والأمنين - وأغلب اللاجئين على النطاق العالمي هم من المسلمين!!

- وإن نظرة على تاريخ العلاقات بين الغرب والشرق؛ لتضع يدنا وأبصارنا وبصائرنا على قرون الغزو والعنف والمفهر الثقافي والسياسي والديني والحضاري الذي مارسه الغرب ضد الشرق أغلب قرون ذلك التاريخ:

- عشرة قرون من الغزو والمفهر الإغريقي / الروماني / البيزنطي من « الإسكندر الأكبر » (٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م) - في القرن الرابع قبل الميلاد - وحتى « هرقل » (٦١٠ - ٦٤١ م) - في القرن السابع للميلاد - ...

- وقرنان من الحروب الصليبية (٤٨٩ - ٦٩٠ هـ / ١٠٩٦ - ١١٩١ م).

- وخمسة قرون هي عمر الغزوة الغربية الحديثة - التي بدأت منذ إسقاط غرناطة ( ٨٩٧هـ - ١٤٩٢م ) بالانكفاف حول العالم الإسلامي... ثم استعمرت سائر أقطار الإسلام - وهي الغزوة التي نعالج هيمنتها حتى هذه المحطات !

- وإن نظرة على خريطة الشرق وعلى خريطة الغرب ستضع أيدنا وأبصارنا وبصائرنا على الحقيقة التي نقول: أين هو الغزو والاحتلال والاستغلال الذي يروج الأمن ويذهب الأبرياء!! إن القواعد العسكرية الغربية تملأ ديار الإسلام.

- ومئات الآلاف من الجنود الغربيين يحتلون الكثير من أوطان عالم الإسلام.

- ومئات الشركات الغربية العابرة للقارات والجنسيات تنهب ثروات عالم الإسلام.

بينما تملأ خريطة الغرب من أي جنود للإسلام أو نفوذ للمسلمين... وحتى الأفراد المسلمين الذين يعيشون في المجتمعات الغربية قد غدوا - وخاصة بعد « قارعة » سبتمبر ( ٢٠٠١م ) - ضحايا لألوان من التمييز والترويع والتمييز والاعتقال « بأدلة » سرية لا تعلن، ولا يعرفها حتى المحامون!! واعتقالات مؤبدة مدى الحياة، دون إعلان لسبب الاعتقال!! فقط تلاشباه أو لأنهم مسلمون!! الأمر الذي يذكرنا بكلمات المستشرق الفرنسي « جانك بيرك » ( ١٩١٠ - ١٩٩٥م ) التي قال فيها - عن تاريخ علاقة الغرب بالإسلام - : « إن الإسلام الذي هو

آخر الديانات السماوية الثلاث، والذي يدّين به أزيد من مليار نسمة في العالم، والذي هو قريب من الغرب جغرافياً، وتاريخياً، وحتى من ناحية القيم والمفاهيم... قد ظل، ويظل حتى هذه الساعة بالنسبة للغرب:

ابن العم المجهول...

والأخ المرفوض...

والمنكور الأبدى...

والمبعد الأبدى...

والمشتبه فيه الأبدى...<sup>(١)</sup>

فأين هو الإرهاب الذي يروع الأبرياء والأمنين؟!

ومن هم الذين يقتنون ويرأسون هذا اللون من الإرهاب؟!

- وإذا كان « التراث اليهودي » - وليست شريعة موسى عليه السلام -

قد غدت مكوناً من مكونات الحضارة الغربية - التي تمارس

مؤسساتها الإمبريالية - وليس إنسانها - هذه الممارسات مع

الشرق الإسلامي... ومع المسلمين... فإتينا نقرأ في هذا التراث

اليهودي القديم دعوة إلى إبادة « جميع الشعوب الذين على وجه

الأرض... وأكل كل الشعوب أكلاً... دون أن تقطع خنم عهدنا »

« ولا تشفق عينك عليهم... بل تمحو ذكراهم من تحت السماء -

(١) من حديث لحاكم بريك في ٢٧ - ٦ - ١٩٩٥ م - انظر: بحوثه انصباحي

[ العرب والإسلام في نظر المشرق العربي ] ج ٢ - بيروت - ١٩٩٥ م -

الطبعة الأولى: ١٩٩٥ - ١١ - ٢٠٠٠ م.



مثل العماليق -!! - [ سفر التثنية. إصحاح ١٧: ١ - ١٤، ٦ - ١٦، إصحاح ٢٠: ١٠ - ١٦، إصحاح ٢٥: ١٩ ].

كما نقرأ بهذا « الفكر » - في عصرنا الراهن - الفتاوى الخاخامية التي تضع هذا « التراث الدموي » في الممارسة والتطبيق على أرض فلسطين... وذلك من مثل فتوى الخاخام الصهيوني « العقيد. أ. فيدان ( زيمبل ) »، التي يقول فيها لنجنود الصهاينة المحتلين للضفة الغربية: « إن اخلاقاء - الشريعة - تحض على قتل حتى المدنيين الطيبين »<sup>(١)</sup>!

فأين نحن، وأين العالم من هذا الإرهاب الذي يروج الأمن، ويقتل حتى الأبرياء الطيبين؟!

وأين نحن، وأين العالم من هذا « الفكر » الذي ينظر ويبرر لهذا اللون من الإرهاب؟!

- إن المسلمين لم يكونوا هم الذين أبادوا شعوب الهند الحمر... ودمروا حضاراتهم!

- وليسوا هم الذين استخدموا أسلحة اندمار شامل - الذرية - في إبادة المدنيين الأبرياء في ميروشيا ونجازاكي باليابان سنة (١٩٤٥م)!

- وليسوا هم الذين سمموا تربة الأرض... وأحرقوا الغابات... وأبادوا ثلاثة ملايين من البشر في فيتنام!

(١) إسرائيل شحاك [ الدعاة اليهودية وموقفها من غير اليهود ] ( ص ١٣٤، ١٣٥ )، ترجمة: حسن خضر، طبعة القاهرة، سنة (١٩٩٤م).

- ولا هم الذين قتلوا قرابة المليونين من الشهداء في الجزائر!
- ولا هم الذين استخدموا اليورانيوم المنضب، والقنابل العنقودية، وسممووا البيئة، وقتلوا عشرات الآلاف، بل ولا مروا حتى كنوز الآثار الحضارية النادرة والنفيسة في العراق!
- ولا هم الذين أبادوا سبعين مليوناً من البشر في حربين استعماريتين عالميتين شهدتهما القرن العشرون!
- ولا هم الذين حولوا الكثير من بلاد الجنوب إلى مقابر للنفايات الذرية المدمرة والمهلكة للحياة! وجعلوا من حياة الأبرياء في الجنوب... ومن زراعتهم حقول تجارب، ومصادر مكاسب للمبيدات الفسامة... والأسمدة الفاسدة... والأدوية المتهمة بالصلاحيات!
- لم يكن المسلمون - في تاريخهم القديم والوسيط والحديث والمعاصر - هم الذين فعلوا ذلك، ولا شيئاً من ذلك..
- ولو أن المسلمين قد أعدوا القوة التي أمرهم بها ربهم ﷻ في سورة الأنفال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِمَاحِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهَا عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَبَنِيَاءَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تُقْلِقُوا أَنْفُسَكُمْ أَلَيْسَ بِاللَّهِ بِمَعْلُومٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] ... واتخذوا أسباب القوة والمنعة والعزة، فأخافوا الظالمين في ديارهم وشروائهم، لما حدث هذا الإرهاب، الذي غدوا أولى ضحاياه في هذا العالم الذي نعيش فيه..



## الاستِحْلَالُ

الاستِحْلَال: هو اتِّخَاذُ الْحَرَامِ حَلَالًا، واعتقادُ أَنَّ هذا الْحَرَامَ حَالٍ... أي تحليل ما حرّمه الله ﷻ، أو ما توافقت الفطرة الإنسانية السوية على تحريمه..

وقد يزدي الاستِحْلَال إلى الكفر إذا كان المستحلّ عالمًا بأن هذا الفعل الذي استحلّه هو حرام، وكانت حرمة معلومة من الدين بالضرورة، أي ثابتة بالأدلة قطعية الثبوت والدلالة، ولا خلاف على حرمتها بين مذاهب الإسلام والمجتهدين من علمائه... وذلك مثل الذي يعتقد حِلَّ قتل النفس التي حرم الله بغير حق... أو يستحل الزنا... أو السرقة من المال الذي ليست له شبهة ملكية فيه..

والكفر هنا نابع من أن المستحلّ هذا الحرام قد اعتقد كذب الشارع - الله... ورسوله - عندما رفض ونقض وأنكر حكم التحريم، واستحل ما حرّم الله - وما علم تحريمه من المحرمات الشرعية...

أما إذا كان استِحْلَالُ الْمَالِ شبهةً ملكيةً أو حقّ فيه - كالأموال المعانة للأمة، والأموال المشاعة، التي للمستحلّ نصيب فيها - أو كان الاستِحْلَالُ نابعًا من تأويل - حتى ولو كان تأويلًا

فأسيذا - فإن المستحل لا يكفر بممارسة الاستحلال.. وإنما يدخل  
في عداد العصاة أو الفساق..

- وقد يُستخدم مصطلح الاستحلال في غير هذا المعنى..  
وذلك مثل الذي يطلب من شريكه أن يُحلّه من الاتفاق الذي  
انعقد بينهما.. أو أن يطلب المدين من الدائن أن يُحلّه من سداد  
التدين الذي استدان منه، أو من سداده في الموعد الذي اتفقا على  
السداد فيه.. فالاستحلال - هنا - إنما يتم بالرضا والاتفاق.  
وليس بالقسر والاعتصاب..

- وصور الاستحلال كثيرة.. منها صور نمطية.. وأخرى  
تستحق أن تتوجه إليها الأفكار والأنظار.. ومنها ما هو تاريخي..  
وما هو معاصر ومعيش.. وعلى سبيل المثال:

١ - فمن صور الاستحلال الشهيرة في التاريخ: استحلال  
الخروج والثورة على الحكام، انطلاقاً من القناعات المؤسسة على  
التأويلات التي تقول بجور هؤلاء الحكام، وخروجهم عن  
منهاج الحكم الإسلامي العادل، واستحقاقهم العزل والتغيير..  
ولقد ترتب على هذا اللون من الاستحلال للخروج المسلح  
والثورة على الحكام نزيف دموي، وفتن اجتماعية، كانت قرق  
"الخوارج" فرسانها ثغرات غير قصيرة من تاريخ الإسلام..

ولقد يكون استحلال الخروج على الحكام مؤسسياً على توصيف  
دقيق وموضوعي بجور هؤلاء الحكام، الأمر الذي يبيح أو  
يستوجب عزهم واستبدالهم بأخرين.. لكن هذا الاستحلال

يبقى عصفاً في دائرة « البغي » والتعدي والعصيان، إذا لم يكن ثنائيين به تأييد شعبي، وإعداد ثوري يجعل نجاح هذا الخروج للغير الثوري منكداً أو راجح النجاح؛ لأن الخروج دون تأييد من جمهور الأمة هو الفئات على سلطة الأمة وإرادتها.. كما أن الخروج دون إعداد يضمن له رجحان النجاح، ترتب عليه من سلبيات الفتن وتعطيل مصالح الناس ما يفوق إيجابيات هذا الخروج؛ ولهذا تعددت في الإسلام سبل تغيير المكر - وفق الإمكانيات.. وضمانات نجاح التغيير - من التغيير باليد.. إلى التغيير باللسان.. إلى التغيير بالقلب - الذي يشبه رفض العصيان المذني غير العنيف - وفي تقعيد ذلك جاء الحديث النبوي الشريف: « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيذان »<sup>(١)</sup>.

ومع كل ذلك، فإن الخروج على الحكام الظلمة لتغييرهم، حتى لو لم يستجمع هذا الخروج شروطه الشرعية، لا يخرج أصحابه من إطار الإيذان والأمة المؤمنة؛ لأنه اجتihad بوجوه أصحابه على اجتihadهم فيه حتى ولو كان اجتihadاً خاطئاً.. ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَغُلِبُوا الَّتِي تَرَىٰ كُفْرًا فَتُحَرِّمُ عَلَى الْكَافِرِ الْعُقُودُ مَعَ الْكَافِرِينَ مَا كَانُوا عَلَى الْكَافِرِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَافِقًا لِّلْعَافِينَ﴾ (الحجرات: ٩).

٢- ومن النصور التاريخية للاستحلال: صورة الاستعمار والإمبريالية.. وهي صورة من أسوأ صور الاستحلال، وذلك

(١) رواه مسلم والترمذي والنسائي والإمام أحمد.

عندما استحلت الدول الاستعمارية غزو البلاد المستعمرة، واقتحام حدودها، وانتهاك حرمة سيادتها على أرضها، وقهر شعوبها قهراً حضارياً وثقافياً - وأحياناً دينياً - ونهب ثروات هذه الشعوب، واستنار « فائض النهب الاستعماري » لبناء رفاهية البلاد الاستعمارية بواسطة هذا الحرام المنهوب من ثروات المستعمرات.

٣- كذلك عرف التاريخ الاستعماري ذلك اللون من « الاستعمار الاستيطاني » الذي استحل فيه المستعمرون أرض الشعوب المستعمرة، فطردوا هذه الشعوب من أخصب بقاع أرضها الزراعية، وأحلوا بني جلدتهم محل أبناء البلاد في هذه الأرض، وأقاموا حواجز « الفصل العنصري » بين البيض والمثوين « ستاراً أيديولوجياً » لحرمان أهل البلاد من أراضيهم الخصبة، بل ولتتهجيرهم من أوطانهم - كما حدث في الحروب الصليبية (٨٤٩ - ٦٩٠هـ / ١٠٩٦ - ١٢٩١م) .. وفي غزو البيض لأمريكا الشمالية واللاتينية .. وأستراليا .. ونيوزيلندا .. وجنوب أفريقيا .. وزيمبابوي .. والجزائر .. وكما هو حادث الآن في فلسطين ..

٤- ومن الصور المعاصرة للاستحلال - في إطار القانون الدولي - ما يسمى « بالحرب الاستباقية » التي تشنها قوة عظمى على بلاد ضعيفة؛ طمعاً في ثرواتها، وذلك تحت ستار دعاوى ملفقة، تدعمها وتروجها « الصور الإعلامية المصنوعة »، التي تزيئها وسائل الإعلام الإمبريالية، تبريراً لهذه « الحروب الاستباقية »

الخارجة على القانون الدولي، والمستحقة والمتهكة لحرمان هذا القانون.. كما هو حادث الآن في العراق.. وأفغانستان..

٥- كذلك من الصور المعاصرة للاستحلال، تلك الضغوط التي تمارسها الدول الكبرى على الحكومات الضعيفة، الفاقدة لتأييد شعوبها، تفرض صفقات السلاح ذات الأرقام الفلكية في أثمانها.. فرضها على « دول » لا تملك جيوشًا تستطيع أن تستخدم هذا السلاح، ولا إرادة لها في التصرف في هذا السلاح! وإنما تهدف من وراء هذا الاستحلال هو نهب ثروات هذه الدول مقابل هذا السلاح - الذي يتحول إلى طعام للصدأ في الصحراء - وذلك لتشغيل مصانع السلاح في الدول الكبرى، وترويج تجارتها، التي غدت أولى التجارات وأضخمها في هذا العصر الذي نعيش فيه.

٦- كذلك من صور الاستحلال المعاصرة - في إطار العلاقات بين الدول - استضعاف الدول الإمبريالية الكبرى - في الشمال - لكثير من الدول الضعيفة - في الجنوب.. وفي العالم الإسلامي تحديدًا - نشر القواعد العسكرية الأجنبية التي تغطي عشرات منها أرض تلك البلاد، منتفكة أمنها، ومهددة سيادتها على أراضيها، ومبددة مقومات استقلالها، وحرية إرادتها.. وذلك دون أن تحدث أية استشارة لشعوب تلك البلاد في إقامة هذه القواعد العسكرية على أراضيها، وفق الديمقراطية التي تشدق بها تلك القوى العظمى!

لقد نشرت مجلة «نيوزويك» الأمريكية - عدد ٤ فبراير سنة (٢٠٠٣ م) - خاتمة بانقواعد العسكرية الأمريكية التي زرعت في بلاد المشرق العربي وحده، فإذا بها ٣٥ قاعدة عسكرية، منها ٣٠ قاعدة في بلاد مجلس التعاون الخليجي وحدها.. ولقد ضرب العراق سنة (٢٠٠٣ م) من هذه القواعد القائمة على أرض عربية وإسلامية، في سابقة لم تحدث من قبل في التاريخ.. كما ضرب من الأساطيل الحربية الأجنبية المحتلة لبحار ومحيطات هذه البلاد العربية والإسلامية..

نعم.. لقد حدث ويحدث هذا الاستحلال، في الوقت الذي لا يوجد فيه للعالم الإسلامي ولا لدول الجنوب «شرطي مرور» ولا «سفينة صيد» على الأراضي الغربية والمياه الغربية!

٧- وإذا كان حلف الأطلسي قد أنشئ في إبريل سنة ١٩٤٩م «للدفاع عن أراضي الدول المشتركة فيه»..

فمن الذي أحلّ له أن يحارب اليوم على أرض أفغانستان؟  
أليس هذا لون صارخ من ألوان الاستحلال لأرض دولة غير  
مشتركة في هذا الحلف الأوروبي؟!

٨- ولون آخر من ألوان الاستحلال المعاصر، يتمثل في دفن  
الثغيات الذرية.. والسامة.. والضارة بالحياة والأحياء في بلاد  
الجنوب - بالختل والتحليل حيناً.. وبالضغط حيناً آخر..  
وبرسوة الحكام الفاسدين الذين نصّبهم الاستعمار أو تحرسهم



حراية - في أحيان أخرى.. حتى نُقَدَّ غداً هذا البلاء النكارلي  
لونا خطيراً من ألوان الاستحلال..

ووثيق الصلة بذلك، تصريف « الميذات الضارة » و « الأسمدة  
المفسدة » و « الأدوية التي انتهت صلاحيتها » و « الأطعمة  
المفسدة » في أسواق الدول الفقيرة في الجنوب؛ استحلالاً للمال  
الحرام، ولصحة شعوب تلك البلاد وحياة شعوبها وبيئتها؛ وفي  
ذلك كله استحلال لقتل نفوس الشعوب التي حرم الله..

٩- وإذا كنا ندين ونجرّم ونجرّم تجارة الرقيق، التي استحلت  
أصحابها اختطاف آلاف من الرقيق في إفريقيا وآسيا، فإن علينا  
أن نسلط كل الأضواء المناسبة على الاستحلال الغربي - الذي  
باركته الكنيسة - استحلال الاختطاف والأسر لأكثر من أربعين  
مليوناً من الزوجات الأفارقة، الذين سلبوا في سلاسل الحديد،  
وشحنوا في سفن الحيوانات، لتقوم على دمانهم وعظامهم  
وأرواحهم رفاهية البيض في أمريكا.

١٠- وإذا كنا ندين ونجرّم ونجرّم استحلال الحرام الذي  
يأمره فرد أو جماعة هافشية - من حيث العدد والنقود - ضد  
متجر من المتاجر المملوكة لمخالف لنا في الدين والاعتقاد..  
وكذلك الاستحلال الذي يتخذ شكل السرقة لسلعة من محل  
تجاري خارج ديار الإسلام..

إذا كنا ندين ونجرّم ونجرّم هذه الأنواع من الاستحلال  
للحرام.. فإن علينا أن نسلط الأضواء المناسبة التي تكشف

الجرائم الكبرى التي تمثلها ألوان الاستحلال الإمبرياني ضد المستضعفين في العصر الذي نعيش فيه.. وإلا كنا كمن يبصر التقدي في عين الضعيف، وبغفل - أو بتغافل - عن الأخطاب الممثلة بالأشراك التي تملأ عيون الجبابرة والظواغيت.

إن الحلال هو الحلال.. والحرام هو الحرام.. سواء أكان ذلك بمعايير القيم الدينية - التي اتفقت فيها وعليها مختلف الأديانات - أو كان ذلك وفق سنن الفطرة التي قطر الله الناس عليها.. أو كان ذلك وفق القانون الدولي والشرعة الدولية، التي بذلت الإنسانية العظمى والنفيس لبناء منظومتها وتأسيس منظمتها.. والتي جاءت الإمبريالية الجديدة لتعصف بها بهذه الألوان الخطيرة والصارخة من الاستحلال.



## المصادر والمراجع

ابن رشد:

- ١ - فصل المقال فيها بين الحكمة والشريعة من الاتصال.  
دراسة وتحقيق: د. محمد عمار، طبعة دار المعارف، القاهرة، سنة  
(١٩٨٣ م).

ابن القيم:

- ٢ - إعلام الموقعين عن رب العالمين، طبعة بيروت، سنة  
(١٩٧٣ م).

ابن منظور:

- ٣ - لسان العرب، طبعة دار المعارف، القاهرة.

أبو البقاء الكفوي:

- ٤ - الكلبيات، تحقيق: د. عدنان إدريش، محمد المصري،  
طبعة دمشق، سنة (١٩٨٢ م).

أحمد بن حنبل - وآخرون -:

- ٥ - عقائد السلف، جمعها ونشرها: د. علي سامي النشار،  
د. عمار الطالبي، طبعة دار السلام، سنة (٢٠٠٧ م).

إسرائيل شاحاك:

٦- الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، ترجمة: حسن  
محضر، طبعة القاهرة، سنة (١٩٩٤م).

الأشعري - أبو الحسن :-

٧- مقالات الإسلاميين، تحقيق: محي الدين عبد الحميد،  
طبعة القاهرة، سنة (١٩٦٩م).

البلخي:

٨- مقالات الإسلاميين.

التيهانوي:

٩- كشاف اصطلاحات الفنون، طبعة الهند، سنة (١٨٩١م).

٥. حسن حنفي:

١٠- من العقيدة إلى الثورة، طبعة القاهرة، سنة (١٩٨٨م).

١١- التراث والتجديد، طبعة القاهرة، سنة (١٩٨٠م).

١٢- تربية الجنس، المقدمة، طبعة القاهرة، سنة (١٩٧٧م).

١٣- دراسات إسلامية، طبعة بيروت، سنة (١٩٨٢م).

سيد قطب:

١٤- معالم في الطريق، طبعة القاهرة، سنة (١٩٨٠م).

د. طيب نزيبي:

١٥- النص القرآني.

عبد الوهاب خلاف:

١٦- أصول الفقه، طبعة الكويت، سنة (١٩٧٢ م).

علي بن أبي طالب - الإمام -:

١٧- نهج البلاغة، طبعة دار الشعب، القاهرة.

د. علي حرب:

١٨- نقد النص، طبعة بيروت، سنة (١٩٩٣ م).

١٩- صحيفة [الحياة]، لندن، في ١٨ - ١١ - ١٩٩٦ م.

الغزالي - حجة الإسلام -:

٢٠- الاقتصاد في الاعتقاد، طبعة القاهرة، مكتبة صبيح،

بدون تاريخ.

٢١- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة. طبعة القاهرة،

سنة (١٩٠٧ م).

القرطبي:

٢٢- الجامع لأحكام القرآن، طبعة دار الكتب المصرية.

٢٣- مجمع اللغة العربية: [المعجم الكبير]، طبعة القاهرة،

سنة (١٩٧٠ م).

٢٤- معجم ألفاظ القرآن الكريم، طبعة القاهرة، سنة

( ١٩٧٠ م).

٢٥- معجم العلوم الاجتماعية، طبعة القاهرة، سنة (١٩٧٥ م).

- ٢٦- المعجم الوسيط، طبعة القاهرة، سنة (١٩٧٢ م).
- د. محمد أركون:
- ٢٧- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، طبعة بيروت، سنة (٢٠٠١ م).
- ٢٨- تاريخية الفكر العربي.
- محمد عبد السلام فرج:
- ٢٩- الغريضة الغائبة.
- محمد عبده - الأستاذ الإمام -:
- ٣٠- الأعمال الكاملة [للإمام محمد عبده]، دراسة وتحقيق:
- د. محمد عمارة، طبعة دار الشروق، القاهرة، سنة (١٩٩٣ م).
- د. محمد عمارة:
- ٣١- الصحوة الإسلامية في عيون غربية، طبعة نهضة مصر
- القاهرة، سنة (١٩٩٧ م).
- ٣٢- تيارات الفكر الإسلامي، طبعة دار الشروق، القاهرة،
- سنة (١٩٩٨ م).
- ٣٣- الغريضة الغائبة: عرض وحوار وتقييم، طبعة بيروت،
- سنة (١٩٨٣ م).
- المودودي - أبو الأعلى -:
- ٣٤- الحكومة الإسلامية.

٣٥- موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه، ترجمة محمد كاظم  
سباق، طبعة القاهرة، سنة (١٩٧٥ م).

نيكسون - ريتشارد -:

٣٦- الفرصة السانحة، ترجمة: أحمد صدقي مراد، طبعة  
القاهرة، سنة (١٩٩٢ م).

موسوعات ودوريات:

١- دائرة المعارف البريطانية.

٢- الأهرام، القاهرة.

٣- الحياة، لندن.

٤- الشرق الأوسط، لندن.

٥- العربي، القاهرة.

٦- قضايا إسلامية، بيروت.

٧- نيوزويك، أمريكا.

٨- نيويورك تايمز، أمريكا.

٩- الوسط، لندن.

١٠- وطني، القاهرة.

\*\*\*

## السيرة الذاتية للمؤلف



\* الدكتور / محمد عمار .

\* مفكر بارز، واكب الحركة الفكرية المعاصرة،  
ونفذ إلى أعماقها.

\* ولد بمصر سنة ( ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م ).

\* درس بالأزهر تسع سنوات - حتى نهاية المرحلة الثانوية -  
ثم في كلية دار العلوم - جامعة القاهرة - ومنها نال درجة  
الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية .

\* أنجز دراساته العليا بكلية دار العلوم - في الفلسفة  
الإسلامية، وكانت أطروحته للماجستير عن ( المعتزلة ومشكلة  
الحرية الإنسانية )، أما موضوع الدكتوراه فكان عن ( الإسلام  
وفلسفة الحكم ) .

\* متفرغ للعمل الفكري، قدم للمكتبة العربية الإسلامية  
أكثر من ١٠٠ كتاب - ما بين تأليف وتحقيق لتراثنا - القديم  
منه والحديث - وتبرز في أعماله الفكرية اهتماماته بقضايا الفكر  
الإسلامي المتنوعة قديمها وحديثها، وكذلك قضايا التراث  
الفكري والفلسفي والحضاري - في محاولة جادة للإسهام في  
صياغة المشروع الحضاري العربي الإسلامي البديل عن مشروع



التغريب، كما تتميز كتاباته بالنظرة النقدية لتراث حقبة التراجع والجمود في تاريخنا الحضاري، وبقراءة جديدة لأصولنا الفكرية في ضوء متغيرات العصر، وبمنطق الأصالة الإسلامية المعاصرة المتميزة .

✽ من أهم كتبه: الأعمال الكاملة لرواد عصر النهضة؛ الطهطاوي، والأفغاني، ومحمد عبده، والكواكبي، كما كتب في (الصحة الإسلامية والتحدي الحضاري) و (الإسلام وحقوق الإنسان) و (الغزو الفكري وهم أم حقيقة) و (الطريق إلى اليقظة الإسلامية) و (العلمانية ونهضتنا الحديثة) و (الإسلام والمستقبل) و (الاستقلال الحضاري).

\*\*\*

رقم الإبداع

٢٠٠٨/١٩٧٥٣

الترقيم الدولي I.S.B.N

٩٧٧-٣٤٢-٦٦٨-٨

## الكتاب في سُطُور

قال الله ﷻ: ﴿يَتْلُوا آيَاتِ اللَّهِ آنَاسٍ إِنَّمَا خَلَقْتُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَحَمَلْتُمْ أَشْهُوًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: ١٣). ولا سبيل إلى ذلك التعارف - ومن ثم التعايش والتعاون - إلا بالحوار؛ ومن ثم كان تحديد مفاهيم المصطلحات الدائرة في المحاورات شرطاً ضرورياً لنجاح ذلك الحوار - سياسياً كان أو ثقافياً أو دينياً أو حضارياً؛ وإلا كان الحوار أشبه ما يكون بحوار الطرشان.

ومن أجل تحقيق هذا المقصد جاء هذا الكتاب لتحديد المضامين والمفاهيم لعشرة من أشهر المصطلحات حول الظاهرة الإسلامية المعاصرة.

الناشر

دار الإسلام للطباعة والنشر والتوزيع

القاهرة - مصر - ١٢ شارع الأزهر - ص.ب ١٦١ القومية

هاتف: ٤٤٨٠ - ٤٤٨١ - ٤٤٨٢ - ٤٤٨٣ - ٤٤٨٤ - ٤٤٨٥

فاكس: ٤٤٨٥ (٢٠٢)

الإكسبريس - هاتف: ٥٠٠٠٠٠٠ - فاكس: ٥٠٠٠٠٠٠ (٠١٠٢)

[www.dar-alsalam.com](http://www.dar-alsalam.com) [info@dar-alsalam.com](mailto:info@dar-alsalam.com)

ISBN: 977-342-666-8



9 789773 426662 >

www.dar-alsalam.com